الصلاة عند السيد الخصيبي

والعرفاء

بين الشريعة والعرفان

الشيخ محمود سليمان رمضان

الكتاب: الصلاة عند الخصيبي والعرفاء بين الشريعة والعرفان

المؤلف: محمود سليمان رمضان

الطبعة: الأولى/٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت "الكترونية" أو "ميكانيكية" أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلاَّ بموافقة المؤلف كتابةً ومقدماً.

أولاً: هذه فتوى السادة علماء العلويين

والتي نُشرت في حينها في مجلةِ المرشد العربي، لمنشئها الشريف عبد الله آل علوي الحسني، مطبعة الإرشاد اللاذقية، عام ١٣٥٧ هـ، ١٩٣٨ م.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(آل عمران١٩).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(آل عمران٨٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران٦٤).

قَرَأنا هذا البهتان المفترى على العلويين طائفة أهل التوحيد، ونحنُ نرفض هذا البهتان أياً كان مصدره، ونردُّ عليه بأنَّ صفوة عقيدتنا ما جاءَ في كتابِ اللهِ الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(فصلت٤٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو اللهُ أحد، اللهُ الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، وإنَّ مذهبنا في الإسلامِ هو مذهبُ الإمام جعفر الصادق عليه السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام سالكين بذلك ما أَمرنا بهِ خاتم النبيين سيدنا محمّد بن عبدِ اللهِ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: ﴿ إنّي تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ﴾.*[1]

هذه عقيدتنا نحن العلويين، أهل التوحيد، وفي هذا كفاية لقومٍ يعقلون.

الموقعون: مفتي العلويين في قضاءِ صهيون يوسف غزال، المحامي عبد الرحمن بركات، قاضي طرطوس علي حمدان، صالح إبراهيم ناصر، عيد ديب الخيّر، كامل صالح ديب، يوسف حمدان عباس، مفتي العلويين في قضاء جبلة علي عبد الحميد، الفقير لله تعالى صالح ناصر الحكيم، حسن حيدر، قاضي المحكمة المذهبية في قضاء مصياف محمّد حامد.

في ٩ جمادي الآخرة ١٣٥٧هـ.

---

(١) مسند الإمام الرضا. وجاء في مسند أحمد: (حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، يَعْنِي: ابْنَ طَلْحَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: ﴿ إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ عز وجل وَعِتْرَتِي، كِتَابُ اللهِ: حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي: أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ﴾. وفي (السنن الكبرى للبيهقي. السنن الكبرى للنسائي. المستدرك على الصحيحين للحاكم. المعجم الأوسط للطبراني. سنن البهيقي. جمع الجوامع. المعجم الأوسط. جامع الأحاديث. وغيره كثير).

وهذه صورة أخرى عن فتوى الرؤساء الروحيين في صافيتا المنشورة في جريدة النهار

طالعنا في جريدتكم الغراء المؤرخ في ٣١ تموز سنة ١٩٣٨ عدد ١٤٤٨، مقالة لمراسلكم في اللاذقية تحت عنوان (هل العلويون مسلمون) تتضمن المفتريات الكافرة التي نسبها المحامي إبراهيم عثمان لعقائدِ العلويين وتكفيره لهم بادعائهِ وزعمه أنَّهم ليسوا بمسلمين ينكرون – والعياذ بالله وناقل الكفر ليس بكافر – شهادة أن لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، وأنتم تدينون بدينٍ غريب يقوم على فكرةِ التثليث، وتنكرون فكرة التوحيد.

لذلك فقد اجتمعنا نحن الرؤساء الروحيين في قضاء صافيتا، وأصدرنا الفتوى الآتية راجين نشرها بنفس الصحيفة التي نشرتم بها كلمة المراسل عملاً بقانون المطبوعات، إنَّ تصريحات المحامي المومأ إليه هي محض الكفر الصريح، وإنَّ المسلمين العلويين بإجماعهم المطلق يستنكرونها أشدّ الاستنكار، ويبرؤون منها ومن مثيريها الى اللهِ ورسوله ﷺ، ويعلنون في الدنيا والآخرة إنَّهم على شهادة أن لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ شهادة حق وصدق، فمن آمن منهم بالشهادتين والوحدانية فهو منهم، ومن جحدها فهو غريب عنهم كافر بهم، ومن يتخذ من أتباعِ المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام سبباً

لإبعادِهم عن الدين الإسلامي الحنيف نعتبره بدعواه جاحداً للحقِ، ناكراً للصدقِ، عاملاً بالباطلِ.

التواقيع:

الشيخ ياسين عبد اللطيف ياسين يونس،

الشيخ علي حمدان قاضي المحكمة المذهبية الشرعية بطرطوس،

الشيخ يوسف إبراهيم قاضي المحكمة المذهبية الشرعية بصافيتا،

الشيخ محمّد محمود، الشيخ محمّد رمضان،

شوكت العباس،

الشيخ عبد الحميد معلا.

صافيتا في ٣ آب ١٩٣٨

المرسوم التشريعي للاعتراف السوري بدمشق بمذهب آل البيت عليهم السلام

المرسوم التشريعي رقم ٣ إنَّ رئيس الدولة بناءً على الأمر العسكري رقم ٣ المؤرخ في ٥١/٣/٣ ، وبناءً على المرسوم التشريعي رقم ٢٥٧ بتاريخ ٨ حزيران عام ١٩٥٢، وبناءً على قرار مجلس الوزراء رقم ٣ تاريخ ١٩٥٢/٦/١٤، وبناءً على المرسوم التشريعي رقم ٢٣ المؤرخ في ٢ ربيع الثاني ١٣٧١ هـ = ٣٠ كانون الأول ١٩٥١ م. وعلى وجوب عدد كبير من أهالي محافظة اللاذقية على المذهب الجعفري. وعلى اقتراح المفتي العام رَسَمَ ما يلي:

المادة الأولى: يضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم ٣٣ الفقرة التالية: تؤلف لجنة خاصة بالجعفريين من علمائِهم في مركزِ محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين، ويضاف إليهم شخص واحد من كلِّ قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه. ويسمّى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء. مهمتها فحص حالة متدينين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري، والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة وإقرار من يحق لهم الاحتفاظ بها، ومن منح تتحقق اللجنة من أنَّهُ دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها.

المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم التشريعي ويبلغ من يلزم.

دمشق في ١٥ حزيران عام ١٩٥٢– الزعيم فوزي سلو

القرار الصادر على إثر المرسوم التشريعي السابق

وصدر عن رئيس الدولة لمجلس الوزراء ووزير الدفاع والداخلية الزعيم فوزي سلو، وزير الصحة والإسعاف العام مرشد خاطر، وزير الزراعة عبد الرحمن الهنيد، وزير الخارجية ظافر الرفاعي، وزير العدل منير غنام، وزير المالية محمّد بشير الزعيم، وزير المصارف سامي طيارة، وزير الاقتصاد الوطني منير دياب، وزير الأشغال العامة والمواصلات توفيق هارون.

القرار رقم ٨ :

إنَّ المفتي العام للجمهورية السورية، بناءً على المرسوم التشريعي رقم ٣ في ١٥ حزيران عام ١٩٥٢ يقرر ما يلي:

المادة الأولى: تؤلف لجنة فرعية في مركز محافظة اللاذقية من السادة:

حضرة صاحب السيادة الشريف عبد الله رئيساً،

الشيخ علي حلوم مفتي قضاء اللاذقية عضواً،

الشيخ عيد ديب الخيّر عضواً،

يشترك مع هذهِ اللجنة الفرعية المذكورة عضو واحد ليمثل القضاء المذكور حذاء اسمه كلّ من السادة:

كامل حاتم عن قضاء اللاذقية،

عبد الله عابدين عن قضاء الحفة،

حيدر محمّد أحمد عن قضاء جبلة،

يونس ياسين سلامة عن قضاء بانياس،

عبد الهادي حيدر عن قضاء مصياف،

محمود سليمان الخطيب عن قضاء طرطوس،

عبد اللطيف إبراهيم عن قضاء صافيتا،

علي صالح حسن عن قضاء تلكخ،

فمهمّة هذهِ اللجنة فحص كفاءة المتدينين بالكسوة الدينية (على المذهب الجعفري) والذين يرضون ارتداء الكسوة، وإقرار من يحق لهُ الاحتفاظ بها، ومنع مَنْ تحقق اللجنة أَنَّهُ دخيل على سلكِ رجال الدين في ارتدائها.

المادة الثانية: ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتفيذ أحكامه.

دمشق ١٧ شوال عام ١٣٧١هـ = ٩ تموز ١٩٥٢م

المفتي العام للجمهورية السورية

التوقيع محمّد شكري الاسطواني

رقم ٣٥١٠ / ٢٩٢

صورة الى محافظة اللاذقية – المفتي العام.

تدبيج بقلم الشيخ مصطفى محمّد سليمان

الحمدُ للهِ الذي أنار قلوب المؤمنين بمعرفته، وأفاض على العارفين بأنس مجالسته، والصلاة والسلام على مُجْلي آيات الحق على الخلق، محمّد المختار، وآله الأطهار، الذين هم معدن العلوم والحكم.

وبعد، فإنَّ العلامة محمود رمضان قد أبان في كتابه هذا "الصلاة عند الخصيبي والعرفاء" من المعارف واللطائف ما تنشرح لهُ قلوب الطالبين، وتطرب له أرواح العارفين، بما كشف من معاني الصلاة. وحُقّ لهذا الكتاب أن يكون في عصرنا فريد أقرانه مما أُلف في هذا الباب. فأحببت أن أدبّج ذلك بكلمة في سياق مقصود الكتاب، أرجو من الله تعالى أن أكون فيها موفقا.

مما هو بدهي أنَّ الاسم يدل على المسمّى، وله منه نصيب، فإذا تأملنا في الصلاة المعهودة فلابد أن يكون فيها "الصلاة" لفظاً ومعنى، وذلك باستقراء أجزائها التي هي محل اتفاق بين عامة المسلمين: فتبدأ من النية، وليست فيها الصلاة لفظاً ولا معنى، يتلوها التكبير وليس بصلاة، فالفاتحة وبدايتها البسملة وليست صلاة، ثم ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ وكلها ليس فيها صلاة إلى قوله: ﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ (٦) ﴾ وهو دعاء، ففيه الصلاة معنىً، إذ هي دعاء،

ثمَّ قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧)﴾، فبيان للصراط الذي سأله.

وهكذا بعد الفاتحة ركوع وفيه تسبيح، فرفع وفيه قول: سمِعَ اللهُ لمن حمده، ثمّ سجدتان وفيهما تسبيح، وبينهما جلوس قصير، وهكذا بقية الركعات إلى التشهد آخر الصلاة وفيه الشهادتان وقول: السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وكل ذلك ليس فيه "صلاة" لفظاً أو معنى، وفيه قول: اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وهو صلاة لفظاً، ثم خَتْمُ الصلاة بالتسليم وليس صلاة.

فتبين بالاستقراء أنَّ مدلول "الصلاة" لم يتجلّ إلاَّ في موضعين: أولهما في قول: ﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦)﴾ دلَّ بالمعنى، وقول: اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد، دلّ باللفظ. فهما مقصود جملة أفعال الصلاة، ولأجلها وضعت ونظمت، فمن لم يدرك معناها فأيّ شيءٍ حصل منها ؟!

وإذا تأملنا ففي الأولى سأل العبد الهداية إلى الصراط المستقيم، وطلبُ شيءٍ مبهمٍ لا يصح فلابد من البيان، فأبان العبد مطلوبه بالوصف بأنّهُ غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فبقي فيه بعض الإبهام؛ إذ كلٌّ يدعي بأنَّ مَنْ يتبعه غير مغضوب عليه ولا ضال، فلا بُدَّ من بيانه بالتعيين والتشخيص، فبَيَّن العبد سؤاله غاية البيان، بأنَّ الصراط المستقيم الذي طلبه ووصفه بما وصفه هو

صراط محمّد وآل محمّد، وبَيَّنَهُ حيث وصل إلى ختم الصلاة ولم يبق موضع لبيانه غير هذا، ولأنَّهُ موضع نيل المكافأة بإتمام العمل، ولغير ذلك من معان، وكما كان سؤاله مبهماً في أول الصّلاة كانت الصّلاة فيه بالمعنى ﴿اهدِنَـا﴾، ولما كان سؤاله في آخرها مبيناً ومشخصاً كانت الصّلاة صريحة (اللهم **صَلِّ**).

ولما أدى العبد آداب الدخول على مولاه، واستوجب حصول المكافأة بحصول المقصود استحق التشريف من المولى بالدخول عليه والتكريم لهُ، فحينئذ يؤدي العبد السلام فيقول: التّحيات لله والصّلوات والطيبات، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله .

وبهذا يكون السلام خروجاً من الصّلاة عند الفقهاء، ودخولاً في الصّلاة عند العرفاء، فنهاية مبلغ الفقهاء مبتدأ مسالك العرفاء، وبدخوله في الصّلاة تصير حياةُ العارف كلُّها صلاةً وقرباً من مولاه .

ولعل الخبر إلى هذا المعنى أشار: (كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الظمأ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلاّ العناء، **حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم**).

ولهذا يسمى السلام في الحقيقة خَتْماً وتحليلاً، لا خروجاً من الصّلاة ، فإذا خرج الفقيه من صلاته فإنّ أنفاس العارفين صلاة .

ومَنْ فَهِمَ هذا تنفتح لهُ من أسرار الصلاة ومقصودها ما لا ينحصر.

ويعلم العبد حينئذ أنَّ اللهَ أرادَ أن يُظهر العبدُ خضوعه لله بخضوعه لمن جعله الله مولاه، إذ لا يتكبر عبدٌ عن الخضوع لله، ولكنه سرعان ما يظهر كبره على مشاكِلِه في الصورةِ فيأنف طاعة الله، ولذا لم يستكبر إبليس حتى أُمر أن يسجد لآدم، فأبى واستكبر وكان من الكافرين، أبى فرفض أمر الله واستكبر على آدم، وكل ذلك من لحظة امتناعه، وأمّا بُعْدُهُ الزماني فمُغْرِقٌ في الماضي إذ كان قديماً من الكافرين، ولم يقل: فكفر، بل كان.

وعليه فالصلاة المعهودة شرعت من أجلهم، فمن أدرك هذا وقف على عتبة فهم الصلاة. وكل ما كان قبل الصلاة على محمّد وآل محمّد فمقدمة وتهيئة، فحال المصلي كحال من طلب الدخول على ملِك فقدّم بين يديه ديباجةً من المدح والثناء والاستعطاف والانحناء والظهور بمظهر الخضوع رجاء أن يَقبل الملكُ طَلِبَتَه، فإذا انتهى من المدح وغيره شرع في آخر ذلك في مطلوبه وسأل حاجته، وأعلى حاجة للعبد المحب أن يكون مقبولا لدى مولاه، وأن يؤذن لهُ في الدخول عليه، والدخولُ عليه لا يكون إلاَّ بمن اتخذه الله وسيلة إليه وسبباً للدخول عليه محمّد وآلِه.

ومن لطائف العدد في القرآن الكريم المشيرة لما أسلفناه تكرر هذا التركيب ﴿أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ في القرآن ١٢ مرة، مرة منها غير مسبوقة بعاطف في الأنعام

٧٢، و٣ مرات مسبوقة بالفاء ﴿ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ﴾ النساء ١٠٣، الحج ٧٨، المجادلة ١٣، و ٨ مرات مسبوقة بالواو ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ﴾ في البقرة ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء ٧٧، يونس ٨٧، النور ٥٦، الروم ٣١، المزمل ٢٠.

وفيه الإشارة إلى أئمةِ الهدى من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرا، فإقامة الصلاة في القرآن ١٢ مرة، ولم يرد لفظ الصلاة في المعهودة إلاَّ في (اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد) وهم ١٢، فهل تتحقق إقامتها لمن لم يُقِمْ حق آل محمّد.

وجاء لفظ ﴿ أَقِيمُواْ ﴾ بغير هذا التركيب أربع مرات، مرة ﴿ وَأَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ في الشورى، ومرة ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ في الأعراف، ومرة ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ ﴾ في الرحمن، ومرة ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ ﴾ في الطلاق. ولكلّ منها دلالته.

ولو أردنا تتبع ذلك لطال الكلام، وإنَّما أردنا الإشارة فحسب. نسألُ الله حسن الختام، بمحمّد وآله خير الأنام.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على سيّدِ المرسَلين نبيِّنا وشفيعنا محمّد وآلهِ أئمة الهُدى معدنِ العلم الإلهيِّ والتقوى، وعلى مَنْ آلَ إليهم من أهل الإيمان والهدى، أمَّا بعد:

ليس هذا بحثاً في ظاهرِ الصلاةِ وأحكامها الشرعية، لأنَّ ذلك معروفٌ في كُتب الفقهِ عند الجميع، بل هو بحثٌ حولَ باطنِ الصلاة وأسرارها العرفانية عند جميع أهل العرفان من المسلمين على تعددِ مذاهبهم وانتمائهم، فلنرَ كيف توحدت رؤيتهم لأحوالِ الصلاةِ في الشريعةِ والعرفان.

فلقد تكلّموا عن الفرائضِ جميعاً، وعن الصّلاة خاصةً، فاختاروا نهجَ طريق أهل اللغة حيناً، والتعابير الجامعة بين اللغة والتصوف أحياناً أُخرى.

فالصّلاةُ الدُعاء، والصلاةُ الذكر، والصلاةُ التسبيح، والصلاةُ العبادة، والصلاةُ التكبير (كصلاةِ الجنائز)، والصلاةُ الركوع والسجود (كما في صلاة الأوقات والجمعة والأعياد وغيرها).

وكلٌّ لهُ طريقته في أَداءِ كلِّ قسمٍ من هذهِ الْمُسمّيات، اتفقوا على شيءٍ وتباينوا في آخر. لا بمعنى الخلاف والتنافر، ولا بمعنى الإقصاء والتناحر، بل لكلٍّ

رؤية يعتبرها مميزة قد تكون أجلى من بعض الجهات، (فالطرق إلى اللهِ بعددِ أنفاسِ الخلائق كما ورد).*[1]

اتفقوا على ما فرضهُ الله ﷻ في كتابهِ العزيز لإيماهم بأنَّهُ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(فصلت٤٢).

واتفقوا على ما أوضحه رسول الله ﷺ من الفرائض والحدود، واختلفوا في بعض السّنن، كلّ حسب روايته ورؤيته.

فالصلاة الشرعية فرضٌ مِنَ اللهِ ورسولهِ، ولها أوقات معينة وشروط مخصوصة لا تتم إلاَّ بها.

كالطهارة، والوقت، والقبلة، والمكان، واللباس، والأذان والإقامة.

فتكلموا عن الطهارة الحسّية وشروطها، وأجادوا في تبيان الطهارة المعنوية وأحكامها، وقالوا: إذا لم تكن الطهارة المعنوية، فلا تكفي الطهارة الحسية ولم تكتمل شروط الصلاة. وكلٌّ لهُ عرفانه الخاص بها، يجمعهم الكتابُ الكريم في الوضوء والغسل لقولهِ ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ

(١) الفتوحات المكية لابن عربي، وآداب الصلاة المعنوية للخميني.

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(المائدة٦).

وفي الطهارة المعنوية والحسّية لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾(النساء٤٣).

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(الأنبياء٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾(الأنفال١١).

– وجاء في الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن).*[١] فطهارة القلب شرط في صحةِ الصّلاة، لأنَّ قلب المؤمن بيت الله سبحانه وتعالى كما ورد.*[٢]

---

(١) كشف الخفاء للعجلوني. الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية. الفتوحات المكية. وبمعناه في الفردوس للديلمي.

(٢) في الحديث القدسي إذ قال جلَّ وعلا: لا يسعني ارضي ولا يسعني سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، وقد أوحى الله تعالى إلى داوود: يا داوود فرغ لي بيتاً اسكنُ فيه، فقال: إنَّك تجل عن المكان والمسكن، فأوحى الله إليهِ: يا داوود فرغ لي قلبك، فكلّ قلب لم يكن فيه سوى محبة الله، فهو بيت الله حقاً، فقلب المؤمن الكامل بيت الله حقيقة لأنَّهُ خالٍ عن التعلق بغيره، فليس فيه فكر ولا ذكر ولا هم إلاَّ الله. (شجرة طوبى).

– وقال الله تعالى في الحديث القدسي: قُسِّمت الصلاةُ بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل.*(١)

– وعن أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان قال: حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي قال: حدثني عمي عمرو بن عثمان قال: حدثني عمي أبو مسلم، قائد الأعمش، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل: هل يصلي ربك ؟ قال: نعم. قلتُ: وما صلاته ؟ قال: سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي.*(٢)

– وجاء أنَّهُ لما أُسريَ بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة قال لهُ جبريل: رويداً فإنَّ ربَّك يصلّي، قال: وهو يصلّي ؟! قال: نعم قال: وما يقول ؟ قال: يقول: سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي.*(٣)

– وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال: لما نزلت هذهِ الآية: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(الأحزاب٥٦). قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما أنزلَ اللهُ عليكَ خيراً إلاَّ أشركنا فيه! فنزلت قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾(الأحزاب٤٣).*(٤)

---

(١) صحيح مسلم. الفتوحات المكية ج١.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني. كنز العمال. موسوعة التخريج.

(٣) الأحاديث القدسية.

(٤) الدر المنثور في التأويل بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تفسير الألوسي. شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالية قال: صلاة الله: ثناؤه، وصلاة الملائكة عليهم السلام الدعاء.*[1]

– وعن عمر بن إبراهيم الأوسي قال: روي عن رسول الله ﷺ قال: لما كانت الليلة التي أُسري بي إلى السماء وقف جبرائيل في مقامهِ، وغبتُ عن تحيةِ كلّ ملك وكلامه، وصرتُ بمقامٍ انقطعَ عني فيهِ الأصوات، وتساوى عندي الأحياء والأموات، اضطرب قلبي، وتضاعف كربي، فسمعتُ منادياً ينادي بلغةِ علي بن أبي طالب: قفْ يا محمّد، فإنَّ ربَّك يُصلّي. قلتُ: كيف يُصلّي وهو غنيٌّ عن الصّلاة لأحد ؟ وكيف بَلَغَ عليٌّ هذا المقام ؟

فقال الله تعالى: اقرأ يا محمّد: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(الأحزاب٤٣).*[2]

وصلاتي رحمة لكَ ولأُمّتك، فأمّا سماعك صوت علي فإنَّ أخاك موسى لما جاء جبل الطور وعاين ما عاين من عظيمِ الأمور، أذهلَهُ ما رآهُ عمّا يُلقى إليهِ، فشغلتُهُ عن الهيبة بذكرِ أحبِّ الأشياءِ إليهِ وهي العصا، إذْ قلتُ لهُ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾(طه١٧). ولما كان عليٌّ أحبّ الناس إليك ناديناكَ بلغتهِ وكلامهِ ليسكن ما بقلبك من الرعب، ولتفهم ما يُلقى إليك.*[3]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الدر المنثور في التأويل بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تفسير الألوسي. شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي.

(٣) مدينة المعاجز. صحيفة الأبرار.

– وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة قال: سألَ أبو بصير أبا عبدالله عليه السلام وأنا حاضرٌ، فقال: جعلتُ فداك، كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال: مرتين، فأوقفهُ جبرائيل موقفاً، فقال لهُ: مكانك يا محمّد، فلقد وقفت موقفاً ما وقفهُ ملك قط ولا نبي، إنَّ ربَّك يُصلّي، فقال: يا جبرائيل وكيف يصلي ؟ قال: يقولُ: سبوحٌ قدوس، أنا رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللهمَّ عفوك عفوك.*[1]

إلى كلّ شروط الصلاة وتلويحاتها العرفانية.

وهذا السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي رضي الله عنه أحد أهم أقطاب العرفان في وقته وزمانه، التزم بكتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ونهج أهل بيتهِ الأئمة الكرام الذين أذهب الله عنهم الرجس لقولهِ تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(الأحزاب٣٣).

فكان من أهل التسليم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾(الإسراء٩).

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً ﴾(الأحزاب٣٦).

---

(١) الكافي. صحيفة الأبرار. بحار الأنوار.

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(النساء٥٩).

وقوله:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً (٦٤) فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾(النساء ٦٤-٦٥).

وقوله: ﴿ مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(الحشر٧).

فنهل من معين المعصومين منذ نعومة أظافرِه، إذْ قرأَ القرآنَ وهو ابن سبع سنين، وحفظه وهو ابن عشر سنين، وقد تفقَّه على يد السيد أبي محمّد عبد الله الجنَّان الجنبلاني رضي الله عنه صاحب الطريقة الجنبلانية،*[1] (الذي أخذ عن ستين فقيهًا كلّهم رووا عن الإمامَين علي الهادي، والحسن العسكري عليهما السلام).

[1]- ولد سنة/٢٣٥/ هـ وتوفي سنة/٢٨٧/هـ.

لهُ الكثير من المريدين والأتباع في العراق، وفارس، ومصر، والرومان، والحجاز، وسورية، من بني العريض، والغسانيين، وعلى رأسهم الأمير أبو الحسن رائق بن خضر الغسّاني. وبدر بن عمّار والي طرابلس، والحسين بن إسحاق التنوخي أمير اللاّذقية، وسيف الدولة الحمداني أمير بني حمدان بحلب، وعضد الدولة البويهي الملقب برأس باش، وغيرهم الكثير من الملوك، والوزراء، والحكّام، والأمراء.

حج بيت الله الحرام عدة مرات، الأولى كان عمره خمسة عشرة سنة، وكان يشترط على مُريديه حفظ كتاب الله، وسنة رسول الله، والعمل بهما، والحج إلى بيت الله...

قال في أتباعهِ الشاعر الكبير الأمير حسن بن مكزون السنجاري قدّس سرّه:

واقطع أخا الجهل وصِلْ كلَّ فتى   شبَّ على دين الغرام واكتهلْ

من آل حمدان الذين في الهوى   بصدقهم يضرب في الناس المثلْ

خزّان أسرار الغرام ملجأ الـ   عشاق من أهل الشقاق والجدلْ

وقال السيد محسن الأمين العاملي نقلاً عن السيد محمّد باقر حجازي صاحب جريدة وظيفة: وتقديري أنَّ الطائفة الخصيبية هي الفرقة المؤمنة، الموالية للعترة الطاهرة أصولاً وفروعاً ومجازاً وحقيقةً وقولاً وعملاً، فهم – أي أهل طريقته – تحت راية لا إلهَ إلاَّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله ﷺ والإيمان بالخط الإمامي

وما هم عليه من التزام صحيح ورؤية سليمة وعلى أنَّهم رتّلوا القرآن كما نزل وآمنوا به وصدقوا بأحكامِهِ ونهجوا على سنةِ رسوله ﷺ*[1]...

ألَّفَ العديدَ مِنَ الكتبِ في التوحيدِ، وأخبار الأئمة عليهم السلام، والأخلاق، كالهداية الكبرى، والفرق بين الرسول والمرسل، والمائدة وغيرها...*[2]

فكان فيما أوردَهُ مِنَ الإشارات والتلويحات العرفانية كغيرِهِ مِنَ العلماء العارفين الذين اعطوا الصّلاة بُعداً عرفانياً يتناسب مع القوى الباطنة عند الإنسان، كما يتناسب البُعد الشرعي للصّلاة مع الجسم والنفس، ويرى أنَّهُ بتطابق القوّتين العقلية الروحية والجسمية النفسية يكون الإنسان قَدْ أدّى صلاته كما طُلب منه واتصل باللهِ من خلالها ويصير حينئذٍ مِنَ الذين قيل في حقّهم: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(المؤمنون٢).

أخوكم في الله محمود سليمان رمضان

طرطوس قرية الثورة

غرة ذي القعدة ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م

---

(١) مقدمة الهداية الكبرى، طبعة مؤسسة البلاغ بيروت ١٩٩٩م.

(٢) التصوف وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (بتصرف)، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين العاملي.

ما هي الصلاة؟

الصلاةُ في اللغةِ: الدعاء، يُقالُ صلَّى صلاةً، ولا يُقالُ تصليةً.

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن:

الصلاة: قال كثيرٌ من أهل اللغة: هي الدعاء، والتبريك والتمجيد، يُقال: صَلَّيْتُ عليه، أي: دعوتُ لهُ وزَكَّيتُ، وفي حديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا دُعي أحدُكم إلى طعامٍ فليُجب، فإنْ كانَ مُفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فَليُصلِّ).*[1] :أي ليدعُ لأَهلِهِ.﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(التوبة١٠٣). ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(الأحزاب٥٦). ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾(التوبة٩٩).

وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق: تزكيته إياهم. وقال: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(البقرة١٥٧)، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار، كما هي من الناس.*[2]

---

(١) أخرجه مسلم في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي برقم (١٤٣١)، وأحمد في المسند ٣٩٢/٣؛ وانظر: شرح السنة ٣٧٥/٦).

(٢) قال السخاوي: نقل الترمذي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، وقيل: صلاة الملائكة الدعاء. انظر: القول البديع ص ١٠. وردَّ هذا القول ابن القيم في جلاء الأفهام ص ٨١.

والصلاة: التي هي العبادة المخصوصة، أصلها: الدعاء، وسمّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها، وإنْ اختلف صورها بحسبِ شرعٍ فشرعٍ.

ولذلك قال: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾(النساء١٠٣)،

وقال بعضهم: أصلُ الصلاةِ من الصَّلَى (صلاء النار: حرُّها)، قال: ومعنى صَلَّى الرجلُ :أي إنَّهُ ذادَ وأزالَ عن نفسِهِ بهذهِ العبادةِ الصَّلَى الذي هو نارُ اللهِ الموقدَةُ. وبناءُ (صَلَّى) كبناءِ (مَرّضَ) لإزالةِ المرضِ، ويُسَمَّى موضعُ العبادةِ الصلاةَ، ولذلك سُمِّيتِ الكنائسُ صلواتٍ، كقولهِ: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾(الحج٤٠). وكلّ موضع مَدَحَ اللهُ تعالى بفعلِ الصلاة أو حثَّ عليه ذُكِرَ بلفظِ الإقامةِ، نحو: ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ ﴾ (النساء١٦٢)، ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ (البقرة٤٣)، ﴿ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾ (البقرة٢٧٧)، ولم يقلِ: (المصلين) إلَّا في المنافقين، نحو قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(٥)﴾(الماعون)، ﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (التوبة٥٤)، وإنَّما خُصَّ لفظ الإقامة تنبيهاً أنَّ المقصودَ من فعلِها توفيةُ حقوقِها وشرائطها، لا الإتيان بهيئتها فقط، ولهذا روي: (أنَّ المصلين كثير والمقيمين لها قليل). وقوله تعالى: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾(المدثر٤٣) :أي من أتباع النبيين، وقوله: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾(القيامة٣١)، تنبيها أنَّهُ لم يكن ممَّن يُصَلّي: أي يأتي بهيئتها فضلاً عَمَّن يقيمها. وقولُهُ: ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ

مُكَاء وَتَصْدِيَةً ﴾(الأنفال٣٥)، فتسميةُ صلاتهم مُكاءً وتصدية تنبيهٌ على إبطالِ صلاتهم، وأنَّ فعلَهُم ذلك لا اعتدادَ به، بل هُم في ذلكَ كطيورٍ تمكو وتصدي.*[١]

- وقال النبي ﷺ: ما مِنْ صلاةٍ يحضر وقتها إلاَّ نادى ملك بين يدي الناس: أيُّها الناس قوموا إلى نيرانِكم التي أوقدتموها على ظهورِكم فأطفئوها بصلاتكم.*[٢]

- **والصلاةُ** صلةٌ بين العبدِ وربّهِ، وهي (قربان كلّ تقيّ).*[٣] و(إذا دخلَ المؤمنُ في قبرهِ كانت الصلاة عن يمينهِ والزكاة عن يسارهِ والبرّ مظلّ عليه).*[٤] و(هي معراج المؤمن).*[٥] وأوّل العبادات، وأوّل ما افترض الله سبحانَهُ على الناسِ، وأوّل ما يجب تعلّمهُ من الفرائضِ، وأوّل ما يُنظرُ فيه من عملِ ابن آدم، وأوّل ما يُحاسَبُ به، إنْ قُبلت قُبِل ما سواها، وإنْ رُدّت رُدَّ ما سواها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(التوبة٩٩)، :أي دعوات الرسول.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني.

(٢) من لا يحضره الفقيه.

(٣) نهج البلاغة.

(٤) الكافي للكليني.

(٥) مستدرك سفينة البحار.

وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(التوبة١٠٣)،: أي دعاءك سكن لهم. وهي العبادة المخصوصة المبينة حدود أوقاتها في الشريعة.

المُصلّى: مكان الصلاة، ما يتخذُ من فراشٍ ونحوه ليُصلّى عليه.

والصلاة: هي من أحدِ أهم أركان الإسلام الخمسة التي هي: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد.

– **أمّا الذكر**: تارةً يقالُ ويرادُ بهِ هيئةٌ للنفسِ بها يمكنُ للإنسان أن يحفظ ما يقتنيهِ منَ المعرفة، وهو كالحفظ إلاَّ أنَّ الحفظَ يقالُ اعتباراً بإحرازِهِ، والذكرُ يقالُ اعتباراً باستحضارهِ، وتارةً يقالُ لحضورِ الشيءِ بالقلب أو القول، ولذلكَ قيل: الذكرُ ذكران:

ذكرٌ بالقلبِ. وذكرٌ باللسانِ.

وكلٌّ واحدٍ منهما ضربان:

ذكرٌ عن نسيانٍ. وذكرٌ لا عن نسيانٍ بل عن إدامةِ الحفظ.

وكلُّ قولٍ يقالُ لهُ ذكرٌ، فمِن الذكرِ باللسانِ قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(الأنبياء١٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾(الأنبياء٥٠)، وقوله: ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾(الأنبياء٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾(ص٨): أي القرآن، وقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾(ص١). وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(الزخرف ٤٤):

أي شرف لك ولقومك، وقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل٤٣ ، الأنبياء٧): أي الكتب المتقدمة. وقوله: ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا﴾(الطلاق١٠-١١)، فقد قيل: الذكر ههنا وصف للنبي ﷺ.*[1] كما أنَّ الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيثُ إنَّهُ بُشِّرَ بهِ في الكتب المتقدمة، فيكونُ قولُهُ: (رَسُولاً) بدلاً منهُ. وقيلَ: (رَسُولاً) منتصب بقولِهِ (ذِكراً).*[2] كأنَّهُ قال: قد أنزلنا إليكم كتاباً ذِكْراً رسولاً يتلو، نحو قوله: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا﴾(البلد١٤-١٥)، ف(يتيماً) نُصِبَ بقولِهِ (إطعامٌ).

ومن الذكر عن النسيان قولُه: ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾(الكهف ٦٣).

ومن الذكر بالقلب واللسان معا قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(البقرة٢٠٠)، وقوله: ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾(العنكبوت٤٥): أي ذكر الله لعبدِهِ أكبرُ من ذكرِ العبدِ لهُ، وذلك حثٌّ على الإكثارِ من ذكرِهِ.

والذِّكرى: كثرةُ الذكرِ، وهو أبلغُ منَ الذكرِ، قال تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(ص٤٣)، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(الذاريات ٥٥)، في آيٍ كثيرة.

والتَّذكِرةُ: ما يُتَذَكَّرُ بهِ الشيءُ، وهو أعمُّ من الدلالةِ والأمارة، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾(المدثر٤٩)، ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾(عبس١١): أي

---

(١) (وهذا قول ابن عباس، أخرجه عنه ابن مردويه. انظر: الدر المنثور ٢٠٩/٨).

(٢) (انظر: الأقوال في انتصاب (ذكراً) في إعراب القرآن للعكبري ٢٢٨/٢).

القرآن. وذكّرتُهُ كذا، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾(إبراهيم٥)، وقوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾(البقرة٢٨٢)، قيل: معناهُ تُعيدَ ذكرهُ، وقد قيل: تجعلها ذَكَراً في الحكم.*(١)(مفردات ألفاظ القرآن).

– **وجاء عند الطبرسي: الذكر**: حضور المعنى للنفس، وقد يكون بالقلب، وقد يكون بالقول، وكلاهما يحضر به المعنى للنفس، وفي أكثر الاستعمال يُقالُ الذكر بعد النسيانِ، وليس ذلك بموجب أن لا يكون إلاَّ بعد نسيان، لأنَّ كلَّ مَنْ حضرهُ المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال ذاكر لهُ، وأصله التنبيه على الشيء، فمن ذكّرتهُ شيئاً فقد نبهتهُ عليه، وإذا ذكر بنفسهِ فقد تنبه عليهِ، والذكر الشرف والنباهة، والفرق بين الذكر والخاطر أنَّ الخاطر ما يمرُّ بالقلب والذكر قد يكون القول أيضاً.*(٢)

– **وجاء عند ابن منظور: الذِّكْرُ**: الصلاةُ لله والدعاءُ إليه والثناء عليه، وفي الحديث: (كانت الأَنبياء عليهم السلام إِذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ فَزِعُوا إِلى الذكرِ).*(٣): أَي إِلى الصّلاة يقومون فيصلّون، وذِكْرُ الحَقِّ هو الصَّكُّ، والجمع ذُكُورُ حُقُوقٍ، ويقال ذُكُورُ حَقٍّ، والذِّكْرَى اسم للتَّذْكِرَةِ، قال أَبو العباس: الذكر الصّلاة، والذكر قراءة

---

(١) (راجع: المدخل لعلم تفسير كتاب الله ص ١٠٩).

(٢) مجمع البيان للطبرسي.

(٣) في مسند أحمد: (وَكَانُوا -:أي الأنبياء- إِذَا فَزِعُوا، فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ)، ونحوه: (أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء) وذكر دعاءً، بحار الأنوار. ورواه مسلم، وكذا (كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى) أخرجه أحمد وأبو داوود.

القرآن، والذكر التسبيح، والذكر الدعاء، والذكر الشكر، والذكر الطاعة، وفي حديث عائشة رضي الله عنها ثُمَّ جلسوا عند الْمَذْكَر حتى بدا حاجِبُ الشمس، الْمَذْكَر موضع الذِّكْرِ، كأَنَّها أَرادت عند الركن الأَسود أَو الحِجْرِ، وقد تكرر ذِكْرُ الذِّكْرِ في الحديث، ويراد به تمجيد اللهِ وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده، وفي الحديث: (القرآنُ ذَكَرٌ فَذَكِّرُوه)*[1] :أَي إنَّهُ جليل خَطِيرٌ فأَجِلُّوه، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾(العنكبوت٤٥). فيه وجهان: أَحدهما أَنَّ ذكرَ الله تعالى إِذا ذكرهُ العبد خير للعبد من ذكرِ العبد للعبد، والوجه الآخر أَنَّ ذكرَ الله ينهى عن الفحشاء والمنكر أَكثر مما تنهى الصلاة.*[2]

– وقال النبي صلى الله عليه وآله: أيّما امرئٍ مسلمٍ جلسَ في مصلّاه الذي يصلّي فيه الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس، كانَ لهُ من الأجرِ كحاجٍّ بيت الله، وغفر له.*[3]

وقال صلى الله عليه وآله: إذا وجدتم رياض الجنة فارتعوا فيها، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال: مجالس الذكر.*[4]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة عن ابن مسعود.

(٢) لسان العرب لابن منظور.

(٣) أمالي الصدوق. مشكاة الأنوار للطبرسي.

(٤) مستدرك الوسائل. مشكاة الأنوار للطبرسي.

وقال ﷺ: ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ إلاَّ نادى بهم منادٍ من السماءِ: قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات، وغفرَ لكم جميعاً. وما قعد عدة من أهلِ الأرض يذكرون الله إلاَّ قعد معهم عدة من الملائكة.*[1]

– وقال ﷺ: ما جلس قوم يذكرون الله إلاَّ حفّتهم الملائكة وغشتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكّرهم فيمن عندهم.*[2]

– وروى عدة من المشايخ بطريق صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّهُ قال: إنَّ الله عزَّ وجلّ يقول لملائكتِهِ عند انصراف أهلِ مجالس الذكر والعلم إلى منازلهم: اكتبوا ثواب ما شاهدتموه من أعمالِهم، فيكتبون لكلِّ واحدٍ ثواب عمله، ويتركون بعض مَنْ حضر معهم فلا يكتبونهُ، فيقول الله عزَّ وجلّ: ما لكم لم تكتبوا فلاناً ؟ أليس كان معهم وقد شهدهم ؟ فيقولون: يا ربُّ إنَّهُ لم يشترك معهم بحرف ولا تكلم معهم بكلمة، فيقول الجليل جلَّ جلالهُ: أليس كان جليسهم ؟ فيقولون: بلى يا ربُّ فيقول: اكتبوه، معهم إنَّهم قومٌ لا يشقى بهم جليسهم فيكتبونه معهم. فيقول تعالى: اكتبوا لهُ ثواباً مثل ثواب أحدهم.*[3]

– وحَدَّثَ يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، قال: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ محمّد عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ للهِ عزَّ وجلّ مَلَائِكَةً

(١) ميزان الحكمة محمدي الريشهري.

(٢) مشكاة الأنوار. لأبي نصر الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي.

(٣) بحار الأنوار. وعوالي اللالي.

فُضُلاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ الذِّكْرِ، فَإِذَا مَرُّوا بِمَجْلِسٍ عَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يَبْلُغُوا الْعَرْشَ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ عِنْدِ عَبِيدٍ لَكَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ وَيَتَعَوَّذُونَ بِكَ مِنَ النَّارِ وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، فَيَقُولُ: يَسْأَلُونِي جَنَّتِي هَلْ رَأَوْهَا !؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ وَيَتَعَوَّذُونَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ الْخَطَّاءَ فُلَانًا مَرَّ بِهِمْ لِحَاجَةٍ لَهُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أُولَئِكَ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.*[1]

– وعن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عمن ذكره، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قالَ اللهُ عزّ وجلّ: مَنْ ذكرني في ملأٍ مِنَ الناسِ ذكرتُهُ في ملأٍ مِنَ الملائكةِ.*[2]

– وقال الإمام الصادق عليه السلام: مَنْ كان ذاكراً للهِ تعالى على الحقيقةِ فهو مطيعٌ، ومن كانَ غافلاً عنهُ فهو عاصٍ، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما مِنَ الذكرِ والغفلة، فاجعل قلبكَ قبلةً للسانك لا تحركه إلاَّ بإشارةِ القلب وموافقة العقل ورضى الإيمان، فإنَّ الله تعالى عالم بسرك وجهرك، وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر غير شاغل نفسك عمّا عناك بما كلّفك بهِ ربّك في أمره ونهيه ووعده ووعيده، ولا تشغلها بدون ما كلّف به ربك، واغسل قلبك بماءِ الحزن والخوف، واجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكرهِ

(١) مسند أحمد.

(٢) الكافي. وسائل الشيعة.

إياك فإنَّهُ ذكركَ وهو غنيٌ عنك، فذكرهُ لك أجلّ وأشهى وأثنى وأتم من ذكرك له وأسبق، ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والانكسار، ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق، وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب منته وتخلص لوجهه، ورؤيتك ذكرك لهُ تورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه، وهو استكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه، ولا تزداد بذلك إلاَّ بعداً، ولا تستجلب به على معنى الأيام إلاَّ وحشة، والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب، وذكر صادف لك بنفي ذكر غيره، كما قال رسول الله ﷺ: أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فرسول الله ﷺ لم يجعل لذكرِ الله تعالى مقداراً عند علمهِ بحقيقة سابقة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ من قبل ذكرهِ لهُ، ومن دونهِ أولى، فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنَّهُ ما لم يذكر اللهُ العبدَ بالتوفيقِ لذكرهِ لا يقدر العبد على ذكره.*(١)

– **والتسبيح**: من الفعل سبّح:

السَّبحُ: الْمَرُّ السريعُ في الماءِ، وفي الهواء. يُقالُ: سبحَ سبحاً وسباحةً، واستُعيرَ لِمَرِّ النجوم في الفلك، نحو: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(الأنبياء٣٣)، ولجري الفرس نحو: ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾(النازعات٣)، ولسرعةِ الذهاب في العمل نحو: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾(المزمل٧).

(١) مصباح الشريعة.

والتسبيح: تنزيهُ الله تعالى. وأصلُهُ: المرُّ السريعُ في عبادةِ الله تعالى، وجُعِلَ ذلك في فعلِ الخيرِ كما جُعِلَ الإبعادُ في الشّرِّ، فقيل: أبعدَهُ اللهُ، وجُعِلَ التسبيحُ عاماً في العباداتِ قولاً كان، أو فعلاً، أو نيّةً، قال: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾(الصافات١٤٣)، قيل: من المصلين. والأولى أن يُحمل على ثلاثتها، قال: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾(البقرة٣٠)، ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(غافر٥٥)، ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾(ق٤٠)، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾(القلم٢٨)، أي: هلاَّ تعبدونَهُ وتشكرونَهُ، وحُمِلَ ذلك على الاستثناء، وهو أن يقولَ: إنْ شاءَ الله، ويدلُّ على ذلك قولُهُ: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾(القلم١٧)، وقال: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(الإسراء٤٤)، فذلك نحو قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(الرعد١٥)، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(النحل٤٩)، فذلك يقتضي أن يكون تسبيحاً على الحقيقة، وسجوداً لهُ على وجه لا نفقهه، بدلالة قوله: ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(الإسراء٤٤)، ودلالة قوله: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾(الإسراء)، بعد ذكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكون تقديره: يسبحُ لهُ مَنْ في السموات، ويسجدُ لهُ من في الأرض، لأنَّ هذا مما نفقههُ، ولأنَّهُ محالٌ أن يكون ذلك تقديره، ثُمَّ يعطف عليه بقوله: ﴿ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ والأشياء كلّها تسبّحُ لهُ وتسجد، بعضها بالتسخير، وبعضها

بالاختيار، ولا خلاف أنَّ السموات والأرض والدواب مسبِحات بالتسخير، من حيث إنَّ أحوالها تدلُّ على حكمةِ الله تعالى، وإنَّما الخلافُ في السمواتِ والأرض هل تسبِّحُ باختيارٍ؟ والآية تقتضي ذلك بما ذكرتُ من الدلالة، و(سبحانَ) أصلُهُ مصدرٌ نحو: غفران، قال: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾(الروم١٧)، و ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾(البقرة٣٢).

وقول الشاعر:

.... سبحان من علقمة الفاخر*[1]

قيل: تقديرهُ سبحان علقمة على طريق التهكم، فزاد فيه (مَنْ) رَدَّاً إلى أصلِهِ*[2]، وقيل: أرادَ سبحان الله مِنْ أجلِ علقمة، فَحُذِفَ المضافُ إليهِ.

والسُّبُّوحُ القُدُّوسُ مِنْ أسماء الله تعالى*[3]، وليس في كلامهم فُعُّولٌ سواهما*[4]، وقد يُفتحان، نحو: كَلُّوبٍ وسَمُّورٍ، والسُّبحَةُ: التَّسبيحُ،

---

(١) (هذا عجز بيت، وشطره: أقول لما جاءني فخره. وهو للأعشى في ديوانه ص ٩٣؛ والمجمل ٤٨٢/٢؛ والجمهرة ٢٢٢/١).

(٢) (قال البغدادي: وزعم الراغب أن (سبحان) في هذا البيت مضاف إلى علقمة، ومن زائدة، وهو ضعيف لغة وصناعة، أما الأول: فلأن العرب لا تستعمله إلا إلى الله، أو إلى ضميره، أو إلى الرب، ولم يسمع إضافته إلى غيره. وأما صناعة: فلأن (من) لا تزاد في الواجب عند البصريين. انظر: خزانة الأدب ٢٤٥/٧).

(٣) (انظر: الأسماء والصفات ص ٥٤ – ٥٥).

(٤) (قال ابن دريد: باب ما جاء على فعول، فألحق بالخماسي للزوائد والتضعيف الذي فيه، وهو مفتوح الأول كله إلا السبوح، والقدوس. انظر: جمهرة اللغة ٣٩٧/٣.

– وقال أبو زيد: تقول العرب: سبوح وقدوس وسمور وذروح، وقد قالوا بالضم، وهو أعلى، وذروح: واحد الذراريح، وهي الدود الصغار. انظر: الجمهرة ٤٦٣/٣؛ وديوان الأدب ٢٣٢/١).

وقد يقالُ للخرزات التي بها يُسَبَّحُ: سُبحَةً.*[1]

– **العبودية**: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنَّها غاية التذلل، ولا يستحقها إلاَّ مَنْ لهُ غاية الإفضال، وهو اللّهُ تعالى، ولهذا قال: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾(الإسراء٢٣).

والعبادة ضربان:

عبادة بالتسخير، وهو كما ذكرناهُ في السجود.

وعبادة بالاختيار، وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في نحو قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾(البقرة٢١)، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾(النساء٣٦).

– قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات٥٦): أي ليعرفون كما ورد عن ابن عباس.

– وجاء في الحديث القدسي عن الله ﷻ: كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلقَ لكي أُعرف.*[2]

– وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ موسى كان فيما يناجي ربَّهُ قال: ربّ كيف المعرفة بك فعلمني ؟ قال: تشهد أن لا إلهَ إلَّا الله، قال: يا ربّ كيف الصّلاة ؟ قال لموسى: قل: لا إله إلاَّ الله، قال: يا رب فأين

---

(١) (غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٤. والأصبهاني).

(٢) بحار الأنوار.

الصّلاة ؟ قال: قل: لا إله إلاَّ الله، وكذلك يقولها عبادي إلى يوم القيامة، مَنْ قالها فلو وضعت السماوات والأرضون السبع في كفة ووضع لا إله إلَّا الله في كفة أخرى لرجحت بهن ولو وضعت عليهن أمثالها.*(١)

- وروي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله خيرُ العبادة قول لا إلهَ إلَّا الله.*(٢)

- وقال الشيخ الصدوق: حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن عبدالكريم بن عبدالله، عن سلمة ابن عطا، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابِهِ فقال: أيُّها الناس، إنَّ اللهَ جلَّ ذكره ما خلقَ العباد إلَّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادتهِ عن عبادةِ مَنْ سواه، فقال له رجلٌ: يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله ؟ قال معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته.*(٣)

- **ولنعدْ إلى الصلاة،** فقد حضَّ الله سبحانه وتعالى كثيراً على إقامتها، فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(البقرة١١٠).

---

(١) جامع الأخبار: تأليف الشيخ محمد بن محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهجري.

(٢) جامع الأخبار. بحار الأنوار.

(٣) علل الشرائع.

– وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(النور٥٦).

– وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(الأنعام٧٢).

– وقال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾(طه١٣٢).

– وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾(إبراهيم٣١).

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾(النساء ١٠٣).

– وقال رسول الله ﷺ: (الصلاة عمود الدين فمن تركها فقد هدم الدين).*[١]

– وقالَ أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاِسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كانَتْ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ اَلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ، وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ اَلذُّنُوبَ حَتَّ اَلْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ اَلرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اَللهِ ﷺ بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ اَلرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي اَلْيَوْمِ وَاَللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ اَلدَّرَنِ، وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ

(١) أمالي الطوسي. عوالي اللآلئ.

وَلاَ مَالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾(النور٣٧). وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ اَلتَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اَللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(طه١٣٢). فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ).*(١)

حديث آل محمّد:

- روي عن النبي ﷺ وعن الأئمةِ عليهم السلام أنَّهم قالوا: إذا جاءَكم منّا حديثٌ فاعرضوهُ على كتابِ اللهِ فما وافق كتاب اللهِ فخذوهُ وما خالفهُ فاطرحوهُ، أو ردّوه علينا.*(٢)

- وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: اعلموا أنَّ هذا القرآن هو النّاصحُ الّذي لا يغشّ والهادي الّذي لا يضلّ، والمحدّث الّذي لا يكذب...*(٣)

- وعن جابر الجعفي قال: قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إنَّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن بهِ إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن اللهُ قلبَهُ للإيمان، فما وردَ عليكم من حديث آل محمّد ﷺ فلانت لهُ قلوبُكم وعرفتموهُ فاقبلوهُ، وما اشمأزت منهُ قلوبُكم وأنكرتموهُ فردوهُ إلى اللهِ وإلى الرسولِ وإلى العالِمِ منْ آلِ محمّد، وإنّما الهالك أنْ

(١) نهج البلاغة.

(٢) الكافي. تهذيب الأحكام.

(٣) نهج البلاغة.

يحدثَ أحدُكم بشيءٍ منهُ لا يحتملهُ، فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر.*[1]

– وعن السيد الخصيبي ﷺ مرفوعاً بالإسناد إلى الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام قوله: أمَّا الصلوات الخمس فهي عند أهل البيت كما فرض اللهُ سبحانَهُ وتعالى على رسولِهِ، وهي إحدى وخمسين ركعة في ستةِ أوقات، أُبينها لكم من كتابِ اللهِ تقدست أسماؤهُ، وهو قولُهُ في وقت الظهر:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾(الجمعة٩).

فأجمعَ المسلمون أنَّ السعي صلاة الظهر، وأبان وأوضح في حقِها في كتابِ الله كثيراً.

وصلاة العصر بيّنها في قولِهِ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾(هود١١٤)، الطرف صلاة العصر. ومختلفون بإتيان هذه الآية وتبيانها في حقِ صلاةِ العصر، وصلاةِ الصبح.

وصلاة المغرب فأساخ تبيانها في كتابه العزيز قوله: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴾(البقرة٢٣٨). وفي المغرب في إيقاع كتابهِ الْمُنزل.

(١) أصول الكافي.

وأمَّا صلاة العشاء: فقد بيّنها الله في كتابِهِ العزيز: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾(الإسراء٧٨). فأكّد بيان الوقت في حق صلاة العشاءين لأنَّهُ قال: غسق الليل (وهي سواده) ما بين الليل ودلوك الشمس حكم، وقضى ما بين العشاء وبين صلاة الليل، وقد جاء بيان ذلك في قوله: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾(النور٥٨). فذكرها اللهُ في كتابِهِ وسمّاها.

ومن بعدها صلاة الليل، حكى في قولهِ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾(المزمل). وبين النصف والزيادة فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ ﴾(المزمل٢٠). إلى آخر السورة.

وصلاة الفجر فقد حكى في كتابه العزيز: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(المعارج٣٤). وحكى في حقِّها: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾(المعارج٢٣). من صباحهم لمساءهم، وهاتين الآيتين وما دونهما في حقِّ صلاة الفجر، لأنَّها جامعة للصلاة، فمنها إلى وقت ثانٍ إلى الانتهاء في كمية عدد الصّلاة، وأنّها الصّلاة تشعبت منها مبدأ الضياء وهي السبب والواسطة ما بين العبد ومولاه، والشاهد من كتابِ الله على أنَّها جامعة قولهُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(الإسراء٧٨). لأنَّ القرآن من بعدِ فراغ العبدِ من الصلاةِ فإنَّ القرآنَ كان

مشهوداً: أي في معنى الإجابة واستماع الدعاء من الله ﷻ، فهذهِ الأوقات الخمسة التي ذكرها اللهُ ﷻ وأمرَ بهِ.

وأمره بصلاة الوقت السادس (صلاة الليل): وهي فرضٌ مثل الأوقات الخمس، ولولا صلاة ثمان ركعات لما تمت واحد وخمسون ركعة.*[1]

– **وقال حسن بن حمزة الصوفي**[2] قدّس: اعلموا إخواني أنَّ الصَّلاة الباطنة الحقيقية هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي صلة بالله وعماد الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وهي معراج المؤمن، فمن أتى بها كما ينبغي فقد تمت دائرته وعاد إلى مبداه، وهي من أعظم المواهب الإلهية وأجلّ النعم الربانيّة، لا تدرك في المكاسب، ولا توجد مع كل طالب، وإنَّ العمل بشروطها من أشرف العبادات وأقرب القربات، وكما أنَّ الطهارة الظاهرة شرط في صحة الصلاة الظاهرة وهي معلومة لدى الجمهور، فكذلك الطهارة الباطنة شرط في صحة الصلاة الباطنة، وهي عبارة عن قطع التكلف من الدنيا والآخرة وما يتعلق بهما، لأنَّ الصلاة الباطنة عبارةٌ عن اتصالِ رقيقة الروح الروحانية بالحضرة الإلهية، فمن تعلق بغير الله ولو كان مؤمناً بالله لم

---

(١) الهداية الكبرى.

(٢) هو حسن بن حمزة الصوفي البلانسي الشيرازي عاش في القرن السابع الهجري، أحد أهم اتباع مدرسة السيد الخصيبي ؓ، سجَنَهُ المحتسب أربعين يوماً، وأثناء السجن حرَّرَ رسالة في عقيدتهِ سمّاها الفرائد العلوية (التنبيه)، ومنها هذا النص، أُعدم في/٧٦٦/هـ. من مؤلفاته تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس، ورسالة الاذكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار.

يقدر على الاتصال بالحضرة الإلهية، فيمتنع من الصلاة الباطنة، وكما أنَّ استقبال القبلة الظاهرة شرطٌ في صحةِ الصلاة الظاهرة، فكذلك استقبال القبلة الباطنة شرط في صحة الصلاة الباطنة، وهي عبارة عن الإقبال على الله بالكلّية والإدبار عمّا سواه قلباً ونفساً وعقلاً وسراً وجهراً، فإنَّ مَنْ لم يُقبل على الله ﷻ بالكلّية ولم يدبر بالكلّية عمّا سواه لا يتصل بحضرة الله...

وبالجملة مَنْ حَمَلَ على الظاهر المحض فهو حشوي، ومن تمسك بالباطن الصرف فهو ملحد، ومن جَمَعَ بين الظاهر والباطن معاً: أي بالتقية والتقوى والإيمان كان مؤمناً موحداً عارفاً محققاً، إذْ الإيمان والتقوى هما سبب فتح باب كلّ خير وبركة ورزق صوري ومعنوي...*[1]

– **وقال السيّد المسيح** عليه السلام: يمحو إلهنا الخطيئة بالصلاة، لأنَّ الصَّلاة هي شفيع النفس، الصَّلاة هي دواء النفس، الصَّلاة هي صيانة القلب، الصَّلاة هي سلاح الإيمان، الصَّلاة هي لجام الحس، الصَّلاة هي ملح الجسد الذي لا يسمح بفساده بالخطيئة، أقول لكم: إنَّ الصَّلاة هي يدا حياتنا اللتان يدافع بهما المصلّي عن نفسه يوم الدين فإنَّه يحفظ نفسه من الخطيئة هنا على الأرض ويحفظ قلبه حتى لا تمسّه الأماني الشريرة مُغضباً الشيطان نائلاً من الله كلّ ما يطلب، لعمر الله الذي نحن في حضرته إنَّ الإنسان بدون صلاة لا يقدر أن يكون رجلاً ذا أعمال صالحة أكثر مما يقدر أخرس على الاحتجاج عن نفسِهِ

(١)– (الفرائد العلوية) للشيرازي. (راجع إخوان الصفا والتوحيد العلوي).

أمام ضرير، صدّقوني بالحق أنَّهُ إذا صلّى إنسانٌ لله كما يجب، ينل كلّ ما يطلب، اذكروا موسى عبد الله الذي ضرب بصلاته مصر وشق البحر الأحمر وأغرق هناك فرعون وجيشه، اذكروا يوشع الذي أوقف الشمس، وصموئيل الذي أوقع الرعب في جيش الفلسطينيين الذي لا يحصى، وإيليا الذي أمطر ناراً من السماء وأقام اليشع ميتاً، وكثيرون غيرهم من الأنبياء الأطهار الذين بواسطة الصَّلاة نالوا كل ما طلبوا.*(١)

– وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة قال: قال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): إذا قُمتَ في الصَّلاة فعليكَ بالإقبالِ على صلاتِكَ، فإنَّما يُحسبُ لكَ منها ما أقبلتَ عليه، ولا تعبث فيها بيدكَ ولا برأسكَ ولا بلحيتكَ، ولا تُحدِّث نفسكَ، ولا تتثاءب، ولا تَتَمَطَّ، فإنَّما يفعلُ ذلك المجوسُ، ولا تلثَّم، ولا تحتَفِز، ولا تفرِّج كما يتفرَّج البعير، ولا تُقْعِ على قدميكَ، ولا تفترش ذراعيكَ، ولا تُفرقع أصابعك، فإن ذلك كُلَّهُ نقصانٌ من الصَّلاة، ولا تقم إلى الصلاةِ متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنَّها من خلال النفاق، فإنَّ اللهَ سبحانه نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني سكر النوم، وقال

(١) الكتاب المقدس: العهد الجديد .

للمنافقين: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(النساء١٤٢). *(١)

– وأورد ابن شعبة الحراني في حقائقه عن الهفت والأظلة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾(مريم٥٥). قال: أهله، المؤمنون من شيعته الذين يستخفون إيمانهم، وهي الدرجة العالية والمعرفة والإقرار بالتوحيد إنَّه العلي الأعلى، وأمَّا إقامة الصَّلاة فهي معرفتنا وإقامتنا، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾(الإسراء١١٠). فدلَّ على أنَّها المعرفة.

والدليل على أنَّ المعرفة المأمور بها في الصَّلاة ليست بحركات الأعضاء واختلافها في الأمم والشرائع في الظاهر، وأمَّا في الباطن فلا اختلاف فيها، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(العنكبوت٤٥).

وقال تعالى: ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾(الأعلى١٥). فدلَّ على أنَّ الذاكر اسم ربه مصلي. *(٢)

---

(١) – الكافي. والحدائق الناضرة – للمحقق البحراني.

(٢) ابن شعبة الحراني تلميذ السيد الخصيبي.

وقد حضَّ السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان ﷺ على إقامةِ الصَّلاة فقال في بعض قصائده:

والوجــهُ أن يعــرف الإنســانُ مذهبــهُ   وأن يكـــونَ خبـــيراً عَالِمـــاً لقِنـــا
وأن يُقـــيمَ صـــلاةَ الحـــقِّ مُجتهـــداً   يُقـــيمُ أشخاصَـــها في حقِّهـــا يقنـــا
لا أن يقـــولَ بأشـــخاصٍ مـــؤخَّرةٍ   يريـــدُ تقـــديمها جَهـــلاً ومُغتَبنـــا

وقال أيضاً:

ولا تطلـــبَ دينـــاً لا صـــلاةَ لـــهُ   ولا صـــياماً ولا فرضـــاً ولا سُـــنَنا
ولا زَكـــاةً ولا حجـــاً ولا عمـــلاً   إلاَّ تَعَبَّـــدَ شـــيطاناً لـــهُ وثنـــا
يُحِـــلُّ مـــا حَـــرَّمَ المـــولى ليـــترك مَـــنْ   يُطيعُـــهُ في عـــذاب اللهِ قـــد لُـــعنا

وقال أيضاً:

ولـــيس حُـــلَّ لخلـــقٍ تـــركُ ظـــاهرِهِ   ولـــو يكـــون عليمـــاً بالـــذي بطنـــا
لا أن يقولـــوا عَرفنـــا حَســـبُنا ولنـــا   تـــركُ التعبُّـــد إطلاقـــاً وذاكَ لنـــا
فـــذاكَ واللهِ شـــيءٌ لا يصـــحُّ ولا   جـــاءَ الكتـــابُ بـــهِ والصّـــدقُ بغيتنـــا

وقال في قصيدة أخرى:

فـــدعْ عنـــكَ ذكـــرَ حشَـــاد الحشـــاد   وأذِّن بشـــعركِ ثـــاني الإقـــام
وصـــلِّ فقـــد حـــان وقـــتُ الصَّـــلاة   وصُـــم فالصِّـــيامُ لأهـــلِ الصِّـــيام
وحـــج إلى البيـــتِ بيـــتِ الحـــرام   وجاهـــد برشـــقِ مُصـــيب السِّـــهام

وصـــابر ورابـــط وكـــن عارِفـــاً إلى الوقـــتِ في فـــرحٍ وابتســـام[1]

- وروى حسن بن حمزة الشيرازي الصوفي قدّس خبراً عن المفضّل بن عمر قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: إنَّ في هذهِ العصابة قوماً يدخلون فيها ليسقطوا عن أنفسِهم العزائم ويستخفوا بحملِ الفرائض، وما هؤلاء مني ولا أنا منهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾(آل عمران ١٠).

يا مفضل إنَّ اللهَ افترضَ على أوليائِهِ المؤمنين الممتحنين أنْ يقرّوا بالصَّلاة باطناً وهي معرفة الله تعالى، ويقيموها ظاهراً ويأتوا المساجد ظاهراً ويقرون بها باطناً، ويصومون رمضان بعد معرفتهِ باطناً، ويحجّون البيت الحرام ظاهراً بعد معرفة مناسكهِ باطناً، ويؤتون الزكاة بعد معرفةِ باطنها ولا يَدعوا شيئاً مما افترض الله عليهم ظاهراً وباطناً، ومن ترك الظاهر بعدما عرَّفهُ الله الباطن سلبَهُ اللهُ الباطن والظاهر معاً.*[2]

- وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله بإسنادهِ إلى الفضلِ بن شاذان، عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: أنتم الصلاة في كتابِ الله عزّ وجلّ وأنتم الزكاة وأنتم الحج ؟ فقال: يا داوود، نحن الصلاة في كتابِ الله عزّ وجلّ، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد

---

(١) ديوان الخصيبي.

(٢) كتاب (الفرائد العلوية) للشيرازي.

الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة١١٥)... يا داوود إنَّ اللهَ خلقنا فأكرم خلقنا، وفضّلنا، وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السموات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمّانا في كتابهِ وكنّى عن أسمائِنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليهِ...*[1]

- وفي مشارق أنوار اليقين: والفاتحة هي سورة الحمد، وأم الكتاب، وقد شرَّفها الله تعالى في الذكر فأفردها، وأضاف القرآن إليها فقال عزَّ اسمه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾(الحجر٨٧)، فذكرها إجمالاً وإفراداً وذلك لشرفها، وهذا مثل قوله: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾(البقرة ٢٣٨)، أدخلها إجمالاً، وأفردها إجلالاً، والصلاة الوسطى هي صلاة المغرب ظاهراً، وفي وقت أدائها تفتح أبواب السماء، ويجب التعجيل بها لقولِهِ ﷺ: (عجلوا بالمغرب). وأمَّا في الباطن والرمز، فهي فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنَّ الصلوات الخمس بالحقيقة هم: السادة الخمسة الذين إذا لم يعرفوا ولم يذكروا فلا صلاة، فالظهر رسول الله ﷺ ومن ثَمَّ بدا النور، أول ما خلق الله نوره، أول ما خلق الله اللوح، أوّل ما خلق الله القلم، فالعقل نور محمّد ﷺ ، واللوح والقلم علي وفاطمة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(القلم١)، وفريضة العصر أمير المؤمنين عليه السلام، والمغرب الزهراء، أمرهم الله تعالى بالمحافظة على حبِّها

(١) بحار الأنوار عن كنز الفوائد.

وحب عترتها، فصغروا قدرها، وحقروا عظيم أمرها، لما غربت عنها شمس النبوّة، وحبّها الفرض، وتمام الفرض، وقبول الفرض، لأنَّ النبي ﷺ حصر رضاه في رضاها فقال: (والله يا فاطمة لا يرضى الله حتى ترضي، ولا أرضى حتى ترضي). *(١)

ومعنى هذا الرمز أنَّ فاطمة عليها السلام ينبوع الأسرار وشمس العصمة، ومقر الحكمة، لأنَّها بضعة النبي ﷺ وحبيبة الولي، ومعدن السر الإلهي، فمن غضبت عليه أم الأبرار، فقد غضب عليه نبيه ووليه، ومن غضب عليه النبي والولي، فهو الشقي كل الشقي.

وصلاة العشاء الحسن عليه السلام حيث احتجب عنه نور النبي والولي، والصبح الحسين عليه السلام لأنَّهُ بذل نفسهُ في مرضاة الله تعالى، حتى أخرج نور الحق في دجنة الباطل، ولولاه لعمَّ الظلام إلى يوم القيامة.*(٢)

- وروي في الكافي عن سعد الخفاف عن الباقر عليه السلام في حديث طويل أنَّهُ سأله: هل يتكلم القرآن ؟ فتبسم ثُمَّ قال: رحمَ الله الضعفاءِ من شيعتنا، إنَّهم أهل تسليم، ثُمَّ قال: نعم، يا سعدُ، والصلاة تتكلم، ولها صورة وخلق، تأمر وتنهى، قال: فتغير لذلك لوني، وقلت: هذا شيء لا أستطيع أن أتكلم بهِ في الناس، فقال عليه السلام: وهل الناس إلاَّ شيعتنا ؟! فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر

---

(١) - جاء في الأمالي للطوسي: قال(ﷺ): يا فاطمة، إن الله تعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك.

(٢) المشارق للبرسي.

حقنا، ثُمَّ قال: يا سعدُ، أُسمعك كلام القرآن ؟ قال سعد: فقلت: بلى، صلّى اللهُ عليك، فقال: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت ٤٥).*[1]

– وأورد أحد الأولياء الصالحين عن رجلٍ شريفٍ قوله: روينا عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنَّهُ سُئِلَ عن العاقل من هو ؟ فقال: هو من عَقَل عن اللهِ أمرَهُ ونهيَهُ فعمل بما أمره الله وانتهى عما نهاه الله عنه، فمن لم يكن كذلك فليس بعاقلٍ.

قال لهُ شابٌ: وأين من ذلك ؟

فقال الشريف: العمل بما أَمَرَنا بهِ رسول الله صلى الله عليه وآله وترك ما نهانا عنهُ.

قال الشاب: اذكر لي شيئاً من ذلك لأعملَ بما أمرَ الله بهِ، وأنتهي عما نهى اللهُ عنه.

قال الشريف: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ومَا آتَاكُمُ الرَسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(الحشر٧). فعلَّمنا الله تبارك وتعالى بما قال في كتابهِ أنَّ الطاعة لرسولهِ صلى الله عليه وآله والقبول والرجوع إلى أمرهِ ونهيهِ، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ من يُطِعِ الرَسولَ فَقَدْ أطَاَعَ الله ﴾(النساء٨٠)، وقرَن الله طاعته بطاعةِ الرسول.

(١) الكافي.

وأمرنا رسول الله ﷺ بالصَلاةِ في أوقاتِها، وصلّى كما أَمرنا، وكان الأمر من اللهِ ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المؤمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(المؤمنون١). وقال: ﴿ إنَّ الصَلاةَ كَانَتْ عَلَى المؤمِنِينَ كِتَاباً مَّوقُوتاً ﴾(النساء١٠٣). ومثل هذا في الكتابِ كثير، فمَنْ لا يُصلِّي فقد خالف الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله فليس بعاقلٍ.

وأمرنا بإيتاء الزَكَاة وزكّى كما أمرنا: قال الله ﷻ: ﴿ وأَقِيمُوا الصَلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(البقرة٤٣). فمن لم يؤتِ الزكاة على شروطِها فقد خالف الله ورسوله، ومَنْ خالف الله ورسوله فليس بعاقل.

وأمرنا رسول الله بالصوم، وصام كما أمرنا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنَ هُدىً لِلنَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(البقرة١٨٥)، ومن لم يصمه فقد خالف الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله فليس بعاقلٍ.

وأمرنا رسول الله بالحجِّ، وحجَّ كما أمرنا الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَللهِ عَلَى النَاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾(آل عمران٩٧)، فمن استطاع ولم يحجَّ فقد خالف الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله فليس بعاقلٍ.

وأمرنا رسول الله بالجِهَادِ، وجاهد كما أمرنا، قال الله ﷻ: ﴿ وجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾(التوبة٤١)، فمن وجد إماماً مفترضةٌ لهُ الطاعة

ولم يجاهد بين يديه ولم يسلِّم جميع أمره إليه فقد خالف الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله فليس بعاقل.

وأمرنا رسول الله بصِلَةِ الرَحِمِ، ووصل كما أمرنا قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وأولو الأرحامِ بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾(الأنفال٧٥). فمن لا يصلِ الرحم، وقطع ما أمرَ اللهُ بهِ فقد خالف الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله فليس بعاقل.

وأمرنا رسول الله بالصِدْقِ، وصدَقَ في كل شيء كما أمر الله، ومن لم يصدِّقُه فليس بعاقل، ومثل هذا أوامر ونواهي كثيرة، أمرنا بها ونهانا عنها، وهي معروفةٌ مشهورة، وإنَّما ذكرتُ اليسير ليستدل على الكثير وبالله المعونة والتوفيق...*(١)

- وخبرٌ في نفس السياق أيضاً:

ملكاً يسألُ عابداً من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله: بماذا يعرف العاقل.؟

قال لهُ العابد المدني: إننا روينا عن الإمام العالم (عليه السلام) أنَّهُ سُئلَ عن العاقلِ؟ قال: العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه وعمل بما أمرَه اللهُ بهِ وانتهى عما نهاهُ اللهُ عنهُ فمَنْ لم يكن كذلك فليس بعاقل.

---

(١) جوهرة الطالقان.

فإذا تأملنا هذا الخبر وتدبرناه وفهمناه، استدلَّينا على العاقل بما يظهر من أفعاله، وتأملَّنا قول الله عَجَلَّ فوجدناه يقول: ﴿ إنَّ الصَلاةَ كَانَتْ عَلَى المؤمِنِينَ كِتَاباً مَوقُوتاً﴾(النساء١٠٣). وقال اللهُ عَجَلَّ: ﴿ وأمُرْ أهْلَكَ بالصَلاةِ واصْطَبِر عَلَيْهَا﴾(النساء١٣٢). وقال تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ أفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(المؤمنون١-٢). وقال: ﴿ وَاذْكُر في الكِتَابِ إسمَاعِيلَ إنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نبيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَلاةِ والزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ ربِّهِ مَرْضِيًّا﴾(مريم٥٤-٥٥). وقال عَجَلَّ: ﴿ ومَا آتَاكُمُ الرَسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(الحشر٧). وقال: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فقَدْ أطَاعَ الله ﴾(النساء٨٠). وقد أَمرنا رسول الله ﷺ بالصلاة وصلَّى، فمن يُسقط فرضها ولم يصلِّ فقد خالف اللهَ ورسولَهُ ومَنْ خالفَ اللهَ ورسولَهُ فليس بعاقلٍ.

وقد أَمرنا رسولُ الله ﷺ بإيتاء الزكاة وزكَّى، وأمرنا بالصوم وصام، وأمرنا بالحجِّ من استطاع إليه سبيلاً وحجَّ، وأمرنا بالجهاد وجاهد، وأَمرنا بصلةِ الرحم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وأولو الأرحامِ بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾(الأنفال٧٥). فمن لم يُزكِّ عن مالِهِ ولم يصم ولم يحج ولم يجاهد مع إمامٍ عادلٍ فقد خالفَ اللهَ ورسولَهُ ومَنْ خالفَ الله ورسوله فليس بعاقل، ونهانا رسول الله ﷺ عن القتل، وقتَلَ القاتل، وعرَّفنا ما تهدد بهِ القاتل من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ﴾(النساء٩٣). فمَنْ خالفَ اللهَ ورسولَهُ عرّض نفسَهُ للهلاك، ونهانا عن السرقة، وقطع يد

السارق، قال الله ﷻ: ﴿ وَالسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(المائدة٣٨). ونهانا عن الزنا وأَمرنا بجلد الزاني، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ الزَانِيةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلدَةٍ وَلا تَأخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤمِنِين، الزَانِي لا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أو مُشْرِكَةً وَالزَانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أو مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤمِنِينَ﴾(النور٢). وقال جلَّ من قائل: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾(الإسراء٣٢). ونهانا رسول الله ﷺ عن التجسس والاغتياب قال الله تعالى: ﴿ ولا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه﴾(الحجرات١٢).

ونهانا رسول الله ﷺ عن النظرِ إلى عيوبِ إخواننا المؤمنين والتقصير عنهم، قال رسول الله ﷺ: لعنَ اللهُ الناظرَ إلى سوأةِ أخيه. يريد بذلك الناظر إلى نساءِ إخوانه، قال رسول الله: إنَّ الفاحشةَ لتُذاع عن المؤمنِ إلى أنْ تصلَ إلى مؤمنٍ مثله، فإن وصلت إليه جُعلت في حرزٍ حريز فكتمت. فمن قتل وسرق وزنى وتجسس واغتاب المؤمنين ونظر في نسائهم ونظر في عيوبهم وارتكب شيئاً من المحارم والقبائح والفواحش التي نهى الله عنها فقد خالف الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله فليس بعاقل.*[1]

---

(١) سفينة المتصوفين لورد الخضر عن الجوهرة.

تأويل الصلاة

– عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأَنصاريّ قالَ: كُنتُ مَعَ مولانا أميرِ المؤمنينَ عليه السلام فرأى رَجُلاً قائمًا يُصَلّي فَقالَ لَهُ: يا هذا، أتَعرِفُ تَأويلَ الصَّلاةِ ؟ فَقالَ: يا مَولايَ، وهَل لِلصَّلاةِ تَأويلٌ غَيرُ العِبادَةِ ؟ فَقالَ: إي والَّذي بَعَثَ محمّداً بِالنُّبُوَّةِ، وما بَعَثَ اللهُ نَبيَّهُ بِأَمرٍ مِنَ الأُمورِ إلَّا ولَهُ تَشابُهٌ وتَأويلٌ وتَنزيلٌ، وكُلُّ ذلِكَ يَدُلُّ عَلَى التَّعَبُّدِ، فَقالَ لَهُ: عَلِّمني ما هُوَ يا مَولايَ ؟

فَقالَ عليه السلام: تأويلُ تَكبيرَتِكَ الأُولى إلى إحرامِكَ أن تُخطِرَ في نَفسِكَ إذا قُلتَ: اللهُ أكبَرُ مِن أن يوصَفَ بِقيامٍ أو قُعودٍ، وفِي الثّانيَةِ: أن يوصَفَ بِحَرَكَةٍ أو جُمودٍ، وفِي الثّالِثَةِ: أن يوصَفَ بِجِسمٍ أو يُشَبَّهَ بِشَبَهٍ أو يُقاسَ بِقياسٍ، وتُخطِرَ فِي الرّابِعَةِ: أن تَحِلَّهُ الأَعراضُ أو تؤلِمَهُ الأَمراضُ، وتُخطِرَ فِي الخامِسَةِ: أن يوصَفَ بِجَوهَرٍ أو بِعَرَضٍ أو يَحِلَّ شَيئًا أو يَحِلَّ فيهِ شَيءٌ، وتُخطِرَ فِي السّادِسَةِ: أن يَجوزَ عَلَيهِ ما يَجوز عَلَى الْمُحدَثينَ مِنَ الزَّوالِ والاِنتِقالِ والتَّغَيُّرِ مِن حالٍ إلى حالٍ، وتُخطِرَ في السّابِعَةِ: أن تَحِلَّهُ الحَواسُّ الخَمسُ. ثُمَّ تَأويلُ مَدِّ عُنُقِكَ فِي الرُّكوعِ تُخطِرُ في نَفسِكَ: آمَنتُ بِكَ ولَو ضُرِبَت عُنُقي. ثُمَّ تَأويلُ رَفعِ رَأسِكَ مِنَ الرُّكوعِ إذا قُلتَ: سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ، الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ، تَأويلُهُ: الَّذي أخرَجَني مِنَ العَدَمِ إلَى الوُجودِ، وتَأويلُ السَّجدَةِ الأُولى أن تُخطِرَ في نَفسِكَ وأنتَ ساجِدٌ: مِنها خَلَقتَني، ورَفعُ رَأسِكَ تَأويلُهُ: ومِنها أخرَجتَني، والسَّجدَةُ الثّانيَةُ: وفيها

تُعيدُني، ورَفعُ رَأسِكَ تُخطِرُ بِقَلبِكَ: ومِنها تُخرِجُني تارَةً أُخرى. وتَأويلُ قُعودِكَ عَلى جانِبِكَ الأَيسَرِ ورَفعِ رِجلِكَ اليُمنى وطَرحِكَ عَلَى اليُسرى تُخطِرُ بِقَلبِكَ: اللّهُمَّ إنّي أقَمتُ الحَقَّ وأمَتُّ الباطِلَ. وتَأويلُ تَشَهُّدِكَ: تَجديدُ الإِيمانِ ومُعاوَدَةُ الإِسلامِ والإِقرارُ بِالبَعثِ بَعدَ الموتِ، وتَأويلُ قِراءَةِ التَّحيّاتِ: تَمجيدُ الرَّبِّ سُبحانَهُ، وتَعظيمُهُ عَمّا قالَ الظّالِمونَ ونَعَتَهُ الْمُلحِدونَ، وتَأويلُ قَولِكَ: السَّلامُ عَلَيكُم ورَحمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ، تَرَحُّمٌ عَنِ اللهِ سُبحانَهُ، فَمَعناها: هذِهِ أمانٌ لَكُم مِن عَذابِ يَومِ القيامَةِ. ثُمَّ قالَ أميرُ المؤمِنينَ عليه السلام: مَنْ لَم يَعلَم تأويلَ صَلاتِهِ هكَذا فَهيَ خِداجٌ.*(١)

- وقال الإمام الصادق عليه السلام داوم على تخليص المفروضات والسنن فإنّهما الأصل، فمن أصابهما وأدّاهما بحقّهما فقد أصاب الكل، وإنَّ خيرَ العبادة أقربها بالأمن، وأخلصها من الآفات، وأدومها وإن قلَّ، فإن سلم لك فرضك وسننك فأنت عابد، واحذر أن تطأ بساط ملك إلاَّ بالذل والافتقار والخشية والتعظيم، وأخلص حركاتك من الرياء وسرّك من القساوة، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: المصلي مناج ربه فاستحِ من المطّلع على سرك والعالم بنجواك وما يخفي ضميرك، وكن

---

(١) بحار الأنوار. وفي علل الشرائع عن علي بن حاتم قال: حدثنا إبراهيم بن علي قال: حدثنا أحمد بن محمّد الأنصاري قال: حدثنا الحسن بن علي العلوي قال: حدثنا أبو حكيم الزاهد بمصر، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بمكة، قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام مار بفناء بيت الله الحرام إذ نظر إلى رجلٍ يصلّي فاستحسن صلاته، فقال: يا هذا الرجل تعرف تأويل صلاتك ؟ قال الرجل: يا ابن عمِّ خير خلق الله، وهل للصلاة تأويل غير التعبد ؟ قال علي عليه السلام: اعلم يا هذا الرجل إنَّ الله تبارك وتعالى ما بعث نبيه صلى الله عليه وآله بأمرٍ من الأمورِ إلاَّ وله متشابه وتأويل وتنزيل، وكلّ ذلك على التعبد فمن لم يعرف تأويل صلاته، فصلاته كلها خداج ناقصة غير تامة.

بحيث يراك لما أراد منك ودعاك إليه، فكان السلف لا يزالون يشغلون من وقت الفرائض إلى وقت الفرض في إصلاح الفرضين جميعاً في إخلاص حتى يأتوا بالفرضين جميعاً، وأرى الدولة في هذا الزمان للفضائل على ترك الفرائض كيف يكون جسداً بلا روح. قال علي بن الحسين الَسَّلِيُّلاِ: عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة، وليس ذلك إلاَّ لحرمان معرفة الأمر وتعظيمه وترك رؤية مشيئته بما أهّلهم لأمره واختارهم له.*(١)

– وقال الإمام الصادق الَسَّلِيُّلاِ: من صلّى الصلاة المفروضات في أوّل وقتها فأقام حدودها رفعها الملك إلى السماء بيضاء نقية، فهي تهتف به: حفظك الله كما حفظتني واستودعك الله كما استودعتني ملكاً كريماً، ومَنْ صلاَّها بعد وقتها من غير علّة فلم يقم حدودها رفعها الملك سوداء مظلمة، فهي تهتف به ضيعتني ضيعك الله كما ضيعتني ولا رعاك الله كما لم ترعني.*(٢)

– التفت رزام بأمر المنصور العباسي إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق الَسَّلِيُّلاِ فقال له: أخبرني عن الصلاة وحدودها ؟ فقال له الإمام الصادق الَسَّلِيُّلاِ: للصلاة أربعة آلاف حد لست تؤاخذ بها، فقال: أخبرني بما لا يحل تركه، ولا تتم الصلاة إلَّا بهِ ؟ فقال أبو عبد الله الَسَّلِيُّلاِ: **لا تتم الصلاة إلَّا لذي طهرٍ سابغ**، وتمامٍ بالغ، غير نازغ، ولا زائغٍ، عرفَ فوقف، وأخبتَ فثبت، فهو واقفٌ

---

(١) مصباح الشريعة.

(٢) روضة الواعظين للنيسابوري.

بين اليأسِ والطمع والصبر والجزع، كأنَّ الوعد لهُ صنع، والوعيد به وقع، بذل عرضه، وتمثل غرضه، وبذل في الله المهجة، وتنكب إليه غير المحجة، مرتغم بارتغام، يقطع علائق الاهتمام بعين مَنْ لهُ قصد، وإليه وفد، ومنه استرفد، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاةُ التي بها أُمِرَ، وعنها أُخبِرَ، وإنَّها هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر.*(1)

– وعن النبي ﷺ: إنَّ مِنَ الصلاةِ لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإنَّ منها لما يلفُ كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وإنَّما لك من صلاتِك ما أقبلتَ عليه بقلبك.*(2)

– وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قام العبد المؤمن في صلاتِهِ نظرَ الله إليه أو {قال: أقبل الله عليه} حتى ينصرف، وأظلته الرحمة من فوقِ رأسه إلى أفقِ السماء والملائكة تحفه من حولهِ إلى أفق السماء، ووكل اللهُ بهِ ملكاً قائماً على رأسهِ، يقول: أيُّها الْمُصلّي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك أبداً.*(3)

---

(1) بحار الأنوار.

(2) بحار الأنوار.

(3) بحار الأنوار.

- وجاء عند ابن شعبة الحراني قدّس: قيل عن الصلاةِ إنَّها نهاية حقيقة اتصال العارف بالله، وعند كمالها بلوغ الغاية من المعرفة، والمولى يقول: المصلّي مُناج ربّه. والمناجي لا يكون بغير معرفة وتحقيق لما يقصد إليه...

وقال: وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾(النساء ٤٣) والسُّكرُ هو الغفلة والجهل، فأمر بتجريد النفس من علائقها وقطعها عن شواغلها، لتكون متهيئةً مستعدةً لقبول مواهب الله، لأنَّ المصلّيَ إذا أحضر نفسه عند المواجهة والذكر لجلال الله وجبروته وعظمته وسلطانه، ونظر إلى المراتب العالية رتبةً بعد رتبة، ونزَّهَ الله وأجلَّه وعظَّمه... حينئذٍ يتأدب ويقف وقوف العارف المتصل بالله المشاهد لجلال جبروته وعِظَم سلطانه، فيكون مصلّياً على الحقيقة، متصلاً بالله بمقدارِ طاقته، ويكثر اكتسابه من بوارق الأنوار والمواهب القدسية على قدرة قوة عقله واستعداد نفسه، فيكون إذاً موحّداً ومنزِّهاً ومجرِّداً ومالكاً وعارفاً، وهذه رتبة أصحاب الاتصال بالله الذين اتسموا بالإيمان. وأمَّا إنْ كان وقوفه للصلاةِ لعباً وكلامه لغواً فيكون أشدَّ جحوداً من المنكر المخالف. قال الله تعالى في الإنسان: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد ١٠). وإنَّما جعل لهُ العينين ليهتدي بهما في الأنوار، ويفرق بين اللطيف والكثيف، وجعلَ لهُ اللسان ليترجم عمَّا أدركه من المعلومات، ووصل إليه من المراتب والدرجات، وجعلَ لهُ الشفتين حجاباً للسان لكي يصمت أو ينطق في الوقت الذي يصلح فيه الصمت أو النطق. ﴿النَّجْدَيْنِ﴾:

العقل والنفس - لتشعُّب مدركاتهما وتباين مطلوباتهما،- فمتى حصلت هذه الرتبة للعارف كان مصلياً على الحقيقة متصلاً بالله محشوّاً قلبه خوفاً وورعاً، وكان في قوله أشدّ اعتباراً وأوضح حُجَّةً وتذكاراً...

وإنَّما يؤتى الإنسان من غفلته وقِلَّة اعتباره وانصرافه عن العلوم، كأنَّهُ يقنعُ بالنقل والأخبار والكلام الذي ليس تحته تحصيل، حاصل بدون معرفة ما يراد به من لفظ، وما يُشار إليه من معنى...

وقال: وأمَّا الصَّلاة: فاتصاله العقلي والنفسي بالمتصل فيضه الدائم بكل شيء على قدر الاستحقاق، ومتى كان الإنسان قد ناسب الوجود في ذاته وهيئته كان من المصلّين المتصلين بالمواجهة، المنقطعين عن الظلمات والبرازخ المرديات.

وأمَّا الزكاة: فإذا زَكَتْ نفسُه اتَّصلت بالنفوس والعقول، واستمدت منها لوامع الأنوار وحقائق الأسرار، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(الشمس ٩): أي وصلها وأوصلها بالعقل فردَّها إلى مبدئها، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠)﴾(الفجر) وهو ممازجتها لعالم الصفاء وأهل التجريد...

ولما كان الإنسان في أسر الطبيعة وقيد الشهوة كالغريق، احتاج إلى العبادة والعمل لتحصل لهُ السعادة، وإنَّ الإنسان يميل بالطبع إلى قوى البدن، وكأنَّهُ منجذبٌ إلى القوى الشهوانية والميل مع دواعي الأهواء، وتلك مشغلة عن عبادة الله، عائقةٌ لهُ عن نيل السعادة، مدعاة إلى قبح الأعمال الموجبة للعذاب الدائم، ومتى انجذبت إلى الأعمال الصالحة استحقَّت من الله الكرامة، وجاءتها البشرى، بدليل قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾(التوبة٢١) ...انتهى*(١)

– وجاء عن حجة الإسلام أبو حامد الغزالي(٢) في العلم الظاهر والباطن: أنَّ هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأنَّ العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة، وعلم المكاشفة، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب، وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين، ومطمع نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه، ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلاَّ في علم الطريق والإرشاد إليه.

(١) مخطوط قديم لابن شعبة الحراني تلميذ السيد الخصيبي. ذكره صاحب كتاب الفرقة الهامشية في الإسلام.

(٢) من أكبر فلاسفة ومتصوفي الإسلام، لهُ العديد من المؤلفات أشهرها الإحياء (٤٥٠هـ ٥٠٥).

وأمَّا علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلاَّ بالرمز والإيماء، على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء، فما لهم سبيل إلى العدولِ عن نهج التأسي والاقتداء، ثُمَّ إنَّ علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر، أعني: العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن، أعنى: العلم بأعمال القلوب، والجاري على الجوارح إمَّا عادة، وإمَّا عبادة، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إمَّا محمود، وإمَّا مذموم، فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين: ظاهر وباطن. والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى: عادة وعبادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى: مذموم ومحمود، فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

وقال ﷺ: مفتاح الصلاة الطهور...

وأمَّا عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة، فتطهيره أحد الشطرين، وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني، فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين، وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني، فتطهيره أحد الشطرين، وهو الشطر الأول، وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني، فهذه مقامات الإيمان، ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلاَّ أن يجاوز الطبقة

السافلة، فلا يصل إلى طهارة السّر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخُلق المذموم وعمارته بالخُلق المحمود، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات...

فانظر كيف صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه،

فإن قلت: أفتقول إنَّ هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟

فأقول: حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل، ولكني أقول: إنَّ هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب، إن وقع النظر إلى ذاتِها على سبيل التجرد فهي من المباحات، وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات. فأمَّا كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أنَّ صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه، فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف، وأمَّا مصيرها منكراً فبأن يجعل ذلك أصل الدين، ويفسر به قوله: ﷺ: بُنِيَ الدين على النظافة، حتى ينكر به على من يتساهل فيه الأولين، أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم، فإنَّ ذلك هو الرياء المحظور، فيصير منكراً بهذين الاعتبارين...

وأمَّا أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلاَّ قدر الحاجة، فالزيادة عليه منكرٌ في حقهم وتضييعُ العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزّها في حقِّ من قدر على الانتفاع به، ولا يتعجب من ذلك، فإنَّ حسنات الأبرار سيئات المقربين، **ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة، وينكر على المتصوفة، ويزعم أنَّهُ يتشبه بالصحابة، إذِ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلاَّ لما هو أهم منه،** كما قيل لداود الطائي: لم لا تسرح لحيتك ؟ قال: إنِّي إذن لفارغ. فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة، وتوهماً بالقصار تقصيراً في الغسل...

وروي عن حاتم الأصم ﵁ أنَّهُ سُئِلَ عن صلاته، فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريدُ الصلاةَ فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثُمَّ أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، أظنها آخر صلاتي، ثُمَّ أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبّر تكبيراً بتحقيقٍ، وأقرأُ قراءةً بترتيل، وأركعُ ركوعاً بتواضع، وأسجدُ سجوداً بتخشع، وأقعدُ على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها الإخلاص، ثُمَّ لا أدري أقبلت مني أم لا.؟...

وقال عبد الواحد بن زيد: أجمعت العلماء على أنَّه ليس للعبدِ من صلاتِهِ إلاَّ ما عَقِلَ منها، فجعله إجماعاً، وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاءِ المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى، والحق الرجوع إلى أدلة الشرع، والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط، إلاَّ أنَّ مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة، فإنَّ ذلك يعجز عنه كلّ البشر إلاَّ الأقلين، وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد لهُ إلاَّ أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم، ولو في اللحظة الواحدة، وأولى اللحظات به لحظة التكبير، فاقتصرنا على التكليف بذلك، ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية، فإنَّه على الجملة أقدم على العمل ظاهراً، وأحضر القلب لحظة، وكيف لا والذي صلّى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله تعالى! ولكن لهُ أجر ما يحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حالهُ أشدّ من حالِ التارك، وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشدّ حالاً من الذي يعرض عن الخدمة! وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطراً في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل، ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة...

في آداب المتعلم والمعلم: أمّا المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل: الوظيفة الأولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف، إذْ العلم عبادة القلب، وصلاة السر، وقربة الباطن إلى الله تعالى، وكما لا تصحُّ الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلاَّ بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلاَّ بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف...

ويقول عن تبيان الظاهر عن الباطن:

فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن، فإنَّ الباطن إنْ كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع، وهو قول من قال: إنَّ الحقيقة خلاف الشريعة، وهو كفر؛ **لأنَّ الشريعة عبارة عن الظاهر، والحقيقة عبارة عن الباطن**، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو، فيزول به الانقسام، ولا يكون للشرع سر لا يفشى، بل يكون الخفي والجلي واحد.

فاعلم أنَّ هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً، وينجر إلى علوم المكاشفة، ويخرج عن مقصود علم المعاملة، وهو غرض هذه الكتب، فإنَّ العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب، وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول، والتصديق بعقد القلب عليها، لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها، فإنَّ ذلك لم يكلف به كافة الخلق، ولولا أنَّه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب، ولولا أنَّه عمل ظاهر القلب

لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب، وإنَّما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه، ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بدّ من كلام وجيز في حله، **فمن قال: إنَّ الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، بل الأسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها ترجع إلى خمسة أقسام...إلخ.***[1]

وجاء في بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة:

اعلم أنَّ هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل: وهي حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء، فلنذكر تفاصيلها ثُمَّ أسبابها، ثُمَّ العلاج في اكتسابها:

أمَّا التفاصيل:

فالأول: **حضور القلب**، ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه، وكان في قلبه ذكر لما هو فيه، ولم يكن فيه غفلة عن كلِّ شيء، فقد حصل حضور القلب.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

ولكن **التفهّم** لمعنى الكلام أمرٌ وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظِ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهّم، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه؛ إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات، وكم من معان لطيفة يفهمها المصلّي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فإنَّها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة.

وأمَّا **التعظيم**: فهو أمرٌ وراء حضور القلب والفهم، إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظماً له، فالتعظيم زائد عليهما.

وأمَّا **الهيبة**: فزائدة على التعظيم، بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم، لأنَّ من لا يخاف لا يسمى هائباً، والمخافة من العقرب وسوء خُلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة، والهيبة خوف مصدرها الإجلال.

وأمَّا **الرجاء**: فلا شك أنَّهُ زائد، فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل، كما أنَّهُ خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل.

وأمَّا **الحياء**: فهو زائد على الجملة؛ لأنَّ مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب.

وأمَّا أسباب هذه المعاني الستة:

فاعلم أنَّ **حضور القلب** سببه الهمة، فإنَّ قلبك تابع لهمتك، فلا يحضر إلاَّ فيما يهمك، ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه، والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً بل جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلاَّ بصرف الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أنَّ الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأنَّ الآخرة خير وأبقى وأنَّ الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أنَّ لهُ سبباً سوى ضعف الإيمان، فاجتهد الآن في تقوية الإيمان، وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع.

وأمَّا **التفهّم**: فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر، وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبالِ على الفكر والتشمر لدفع الخواطر، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها، أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها، ومالم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر، فمن أحبَّ شيئاً أكثر ذكره، فذكر المحبوب يهجم على القلب بضرورة، لذلك ترى أنَّ مَنْ أحبَّ غير الله لا تصفو لهُ صلاة عن الخواطر.

وأمَّا **التعظيم**: فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين: إحداهما معرفة جلال الله ﷻ وعظمته، وهو من أصول الإيمان، فإنَّ مَنْ لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه، الثانية: معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه، فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فإنَّ المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله، لأنَّ القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه.

وأمَّا **الهيبة والخوف**: فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه، مع قلة المبالاة به، وأنَّهُ لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص

من ملكه ذرة، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع، على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض، وبالجملة كلمّا زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

وأمَّا **الرجاء**: فسببه معرفة لطف الله ﷻ وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده، والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة.

وأمَّا **الحياء**: فباستشعاره التقصير في العبادة، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ﷻ، ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها، وقلة إخلاصها، وخبث دخلتها، وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها، مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله ﷻ، والعلم بأنَّهُ مطلع على السّر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء.*[1]

- **ويقول ابن عربي**: اعلم أيدك الله بروح القدس أنَّ مسمّى الصلاة يضاف إلى ثلاثة وإلى رابع، ثلاثة بمعنيين: بمعنى شامل وبمعنى غير شامل، فتضاف الصلاة إلى الحق بالمعنى الشامل، والمعنى الشامل هو الرحمة، فإنَّ الله وصفَ نفسَهُ بالرحيم ووصف عباده بها فقال: أرحم الراحمين، وقال رسول الله ﷺ: إنَّما يرحم الله من عباده الرحماء، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾(الأحزاب ٤٣)،

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

فوصف نفسَهُ بأنَّهُ يصلّي عليكم: أي يرحمكم بأن يخرجكم ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾، يقول: من الضلالة إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة، وتضاف الصلاة إلى الملائكة بمعنى الرحمة والاستغفار والدعاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾(الأحزاب ٤٣)، فصلاة الملائكة ما ذكرناها، قال الله ﷻ في حقِّ الملائكة: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(غافر ٧)، اللهمَّ استجب فينا صالح دعاء الملائكة، وتضاف الصلاة إلى البشر بمعنى الرحمة والدعاء والأفعال المخصوصة المعلومة شرعاً.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور ٤١)، فأضاف الصلاة إلى الكلِّ، والتسبيح في لسان العرب الصلاة...

واعلم أنَّ الله خاطب الإنسان بجملته، وما خصَّ ظاهره من باطنه، ولا باطنه من ظاهره، فتوفرت دواعي الناس أكثرهم إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم، **وغفلوا عن الأحكام المشروعة في بواطنهم إلاَّ القليل، وهم أهل طريق الله، فإنَّهم بحثوا في ذلك ظاهراً وباطناً**، فما من حكم قرّروه شرعاً في ظواهرهم إلاَّ ورأوا أنَّ ذلك الحكم لهُ نسبة إلى بواطنهم، أخذوا على ذلك جميع أحكام الشرائع، فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهراً وباطناً، ففازوا حين خسر الأكثرون...

ويتابع: أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف على وجوبِ الطهارة على كلِّ مَنْ لزمتهُ الصلاة إذا دخل وقتها، وأنَّها تجب على البالغ حدّ الحلم العاقل، واختلف الناسُ: هل من شرط وجوبها الإسلام أمْ لا ؟ هذا حكم الظاهر، فأمّا الباطن في ذلك وهي الطهارة الباطنة، فنقول: إنَّ باطن الصلاة وروحها إنَّما هو مناجاة الحق تعالى، حيث قال: (قسّمت الصلاةُ بيني وبين عبدي نصفين)*[1] فذكر المناجاة، يقول العبد: كذا، فيقول الله: كذا، فمتى أرادَ العبدُ مناجاة ربهِ في أيّ فعل كان تعينت عليه طهارة قلبهِ من كلِّ شيءٍ يخرجهُ عن مناجاة ربّهِ في ذلك الفعل، ومتى لم يتصف بهذه الطهارة في وقت مناجاته فما ناجاه وقد أساء الأدب فهو بالطرد أحق...*[2]

– **وجاء عند عبد الكريم الجيلي**[3]: الصلاة عبارة عن واحدية الحق تعالى، وإقامتها إشارة إلى إقامة ناموس الواحدية بالاتصاف بسائر الأسماء والصفات، **فالطهر** عبارة عن الطهارة من النقائص الكونية، وكونهُ يشترط بالماء إشارة إلى أنَّها لا تزول إلاَّ بظهور آثار الصفات الإلهية التي هي حياة الوجود، لأنَّ الماء سرّ الحياة، وكون التيمم يقوم مقام الطهارة للضرورة إشارة للتزكي بالمخالفات والمجاهدات والرياضات، فهذا لو تزكى عسى أن يكون؛ فإنَّهُ أنزل درجة عمن جذب عن نفسهِ فتطهر عن نقائصها بماء حياة الأزل الإلهي، وإليه

(١) صحيح مسلم.

(٢) الفتوحات المكية ج١.

(٣) هو الصوفي المشهور الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي توفي ٨٠٥هـ.

أشار ﷺ بقولهِ: (آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنتَ خير من زكّاها)*[١]، فآتِ نفسي تقواها: إشارة إلى المجاهدات والمخالفات والرياضات، وقولهُ: وزكِّها أنت خير من زكاها: إشارة إلى الجذب الإلهي، لأنَّهُ خير من التزكّي بالأعمال والمجاهدات،

ثُمّ استقبال القبلة إشارة إلى التوجه الكلي في طلب الحق،

ثُمّ النيّة إشارة إلى انعقاد القلب في ذلك التوجه،

ثُمَّ تكبيرة الإحرام إشارة إلى أنَّ الجناب الإلهي أكبر وأوسع مما عسى أن يتجلى بهِ عليه، فلا يقيده بمشهده، بل هو أكبر من كلِّ مشهد ومنظر ظهر بهِ على عبده، فلا انتهاء لهُ، **وقراءة الفاتحة** إشارة إلى وجود كمالهِ في الإنسان؛ لأنَّ الإنسان هو فاتحة الوجود، فتح الله بهِ أقفال الموجودات، فقراءتها إشارة إلى ظهور الأسرار الربانية تحت الأسرار الإنسانية،

ثُمّ الركوع إشارة إلى شهود انعدام الموجودات الكونية تحت موجود التجليات الإلهية،

ثُمّ القيام عبارة عن مقام البقاء، ولهذا يقول فيه: سَمِعَ اللهُ لمن حمده، وهذهِ كلمة لا يستحقها العبد، لأنَّها إخبار عن حال إلهي، فالعبد في القيام الذي هو إشارة إلى البقاء خليفة الحق تعالى، وإن شئت قلت: عينه ليرفع الإشكال،

---

(١) مسند أحمد. السنن الكبرى للنسائي.

فلهذا أخبر عن حال نفسهِ بنفسهِ، أعني ترجم عن سماح حقهِ ثناء خلقهِ، وهو في الحالين واحد غير متعدد،

ثُمّ السجود عبارة عن سحق آثار البشرية ومحقها باستمرار ظهور الذات المقدسة،

ثُمّ الجلوس بين السجدتين إشارة إلى التحقق بحقائق الأسماء والصفات، لأنَّ الجلوس استواء في القعدة، وذلك إشارة إلى حقيقة قولهِ: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(طه ٥).

ثُمّ السجدة الثانية إشارة إلى مقام العبودية، وهو الرجوع من الحق إلى الخلق،

ثُمّ التحيات إشارة إلى الكمال الحقي والخلقي، لأنَّهُ عبارة عن ثناء على اللهِ تعالى وثناء على نبيِّهِ وعلى عبادِهِ الصالحين، وذلك هو مقام الكمال، فلا يكمل الولي إلاَّ بتحققِهِ بالحقائقِ الإلهية واتباعه لمحمّد ﷺ وبتأدبهِ لسائر عباد الله، وهنا أسرار كثيرة.*[١]

<u>وجاء عند القاضي سعيد القمي</u>: عن بعض الأولياء قال: صلاةُ العارفين طيران الأرواح في فضاء السرمدية وصفاء الديمومية، وحركاتُهم روغان الطلب في عالمِ الطرب، **فاستقبالُهم** الكعبةَ استقبالُهم في الحالِ ونفي الجهات، **ونيّاتهم**

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي.

تمكُّن القلوب في مشاهدة الغيوب، **واستفتاحُهم** هو التقوى من كلِّ شيء سوى الله، **وقراءتُهم** ألحانُ الأرواح في قفص الأشباح، **وركوعُهم** خفضُ أجنحة الهمّة في بحار المنة، **وسجودُهم** زوائد الحبِّ في مدارجِ القرب، **ورفعُ ايديهم** الخلوّ في مربع السمّو وتشهدُهم استحضارُ الخيرات وإدراك المشاهدات في المكاشفات، **وتكبيرُهم** تهذيب الإدراك من الإمساك، **وتسبيحُهم** ازدحامُ الذكر عن الفكر، **وتسليمُهم** خروج الروح عن ضيقِ الرسومات في الانبساط.*[1]

– **وجاء عند الجنابزي**[2]: اعلم أنَّ الإنسان كما مرَّ ذو مراتب كثيرة، وأدنى مراتبه مرتبة قالبه الجسماني، وبعدها مرتبة نفسهِ التي يُعبّر عنها بالصدر وبالقلب أيضاً، وبعدها مرتبة قلبه التي هي بين النفس والروح، وبعدها مراتبه الأُخر، وفي كلِّ مرتبةٍ لهُ صلاة، وصلاته القالبية في الشريعة المحمّدية ﷺ: الأفعال والأذكار والهيئات المخصوصة المعلومة لكلِّ مَنْ دخل في هذا الدين بالضرورة، وصلاة قلبه الذي هو صدره: الذّكر المخصوص المأخوذ من صاحب الإجازة، والفكر المخصوص المأخوذ من قوّة الذّكر، أو من تَعمّل المفكّرة، والمراد بالفكرِ ما هو مصطلح الصوفية مِنَ التّوجّه إلى الإمامِ كما ورد وقت تكبيرة الإحرام تذكّر رسول الله ﷺ واجعل واحداً مِنَ الأئمة نصبَ عينيك، وصلاة

(١) كتاب أسرار الصلاة للقاضي سعيد القمي.

(٢) العارف الشهير الحاج سلطان محمد الجنابزي الملقب بسلطان شاه صوفي من أعلام القرن الرابع عشر هـ.

القلب الذي هو بين النفس والروح: مشاهدة معاني أذكار الصلاة ومشاهدة الأحوال والشؤن المشار إليها بأطوار الصلاة، وصلاة الروح: معاينة هذه وهكذا.

ومعنى إقامة الصلاة: جعل صلاة القالب متصلة بصلاة الصدر، وصلاة الصدر متصلة بصلاة القلب، وهكذا، سواء كان الإقامة بمعنى الإقامة عن اعوجاج أو عن قعود، أو بمعنى إقامة حدود الصلاة، فإنَّ أعظم حدودها، حدودها الطولية فإنَّها بالنسبة إلى الحدود العرضية كالروح بالنسبة إلى القالب، فصلاة القالب كقالب الإنسان، والصّلاة الذكرية القلبية الجسمانية كالروح البخاري من الإنسان الذى هو مركب القوى والمدارك الحيوانية، والصّلاة الفكرية الصدرية كالبدن المثالي من الإنسان، والصّلاة القلبية الروحانية كروح الإنسان، فكما أنَّ الإنسان بدون المراتب الباطنية ميتةٌ عفنةٌ تؤذي قرينتها، كذلك الصلاة القالبية بدون مراتبها الباطنة جيفة عفنة مؤذية، وقد ورد: رُبّ مصلٍ والصلاة تلعنهُ.

واعلم أيضاً أنَّ الإنسان خُلق ذا قوة وفعلية من أوّل خلقة مادّتهِ إلى مرتبته الأخيرة التي هي بالفعل من كلّ جهة وليس فيها قوّة، فالنطفة لها فعلية النطفة، وقوة العلقة قريبة، وقوة المضغة والجنين والطفل الإنساني وهكذا بُعيده، وما لم ينقص من فعلية النطفة شيء لم يحصل من فعلية العلقة شيء ويحصل بالاتصال والاستمرار فعلية العلقة بقدر نقصان فعلية النطفة إلى أن صار العلقة بالفعل من جهة كونها علقة ثُمّ يصير فعلية العلقة في النقصان وفعلية المضغة في الحصول

والازدياد وهكذا جميع المراتب، فإنَّ فعلية كلّ مرتبة موقوفة على نقصان سابقتها أو فنائها، وهذا النقصان والفناء زكاة الإنسان تكويناً، وذلك الحصول والازدياد صلاته تكويناً، لأنَّ الزكاة إعطاء المال وتطهير باقيه، وهذا أيضاً كذلك، والصلاة جلب الرحمة وطلبها، والازدياد المزبور جلب للرحمة التي هي كمالات الإنسان واستجماعٌ لها، ولما كان التكليف موافقاً للتكوين وحسن الأعمال الاختيارية بكونها مطابقة للأفعال التكوينية لم يبعث نبيّ قط إلاَّ بتشريع الصلاة والزكاة، وجعلهما أصلاً وعمادًا لتمام الأعمال الشرعية الفرعية، لكن وضعهما وصورتهما في الشرائع مختلفة غير متوافقة، وتقديم الصلاة – في هذهِ الآية:

﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾(البقرة٣)، وفي سائر الآيات – على الزكاة، إمَّا لتقدمها طبعاً لأنَّ إسقاط ما في اليد موقوف على وجدان غيره أو طلب الأفضل منه، **والصلاة** كما علمت وجدان أو طلب للكمال المفقود بعد الاتصاف بكمال موجود، فما لم يطلب الإنسان كمالاً آخر يترك كمالاً حاصلاً، أو لأنَّ الصلاة أشرف، والاهتمام بها أتم؛ لأنَّها طلب ووجدان، والزكاة ترك وفقدان.*[1]

– **ويقول الإمام الخميني**: ولكلّ واحد من أهل السير والسلوك إلى اللهِ صلاة مختصة به، ولهُ من صلاتِهِ حظٌ ونصيب على حسب مقامه...

(١) بيان السعادة في مقامات العبادة للجنابزي.

وبالجملة إنَّ للصلاة مقامات ومراتب، بحيث تكون صلاة المصّلي في المرتبة التي هو فيها تختلف عن صلاته في المرتبة الأخرى اختلافاً كبيراً، كما أنَّ مقامَهُ يختلف مع سائر المقامات اختلافاً كثيراً. فما دام الإنسان في صورة الإنسان "وهو إنسان صوري" فصلاته أيضاً صورية. وصورة الصلاة وفائدتها إنَّما هي بالنسبة إلى صحتها الفقهية وكونها مجزيةً بالأجزاء الصورية الفقهية، هذا إذا قام بجميع أجزائها وشرائط صحتها، وعلى الرغم من أنَّها فاقدة لشرائط القبول وغير مرضية من الله تعالى **فإذا تجاوز المصلّي من المرتبة الظاهرية إلى المرتبة الباطنية، وعن الصورة إلى المعنى، فتكون صلاته صلاة حقيقية بمقدار ما هو متحقق فيها من معنى الصلاة وباطنها وسرّها**...*[١]

فقد تبيّن واتضح عند أرباب المعارف الإلهية أنَّ الإنسان السالك ما دام في السير إلى الله والسلوك إلى جانب الله، فصلاته وكذلك سائر مناسكه تفترق عن تلك التي للولي الكامل الذي أنهى سيره ووصل إلى الغاية القصوى للعروج الكمالي والمعراج الروحي المعنوي، ووضع قدمه في محفل أنس (قاب قوسين) لأنَّ السالك ما دام في السلوك والسير إلى الله فصلاته براق العروج ورفرف الوصول، وبعد الوصول تكون صلاته خارطة التجليات وصورة مشاهدات جمال المحبوب، من دون إعمال رويّة في تركيبها، بل تكون من قبيل سراية حكم الغيب إلى

---

(١) سر الصلاة.

الشهادة، وظهور آثار الباطن في الظاهر، كما قال المحققون من الفلاسفة في حق تدبير العالم العقلي بالنسبة إلى عالم الملك...

إنَّ الصلاة مركبة بحسب صورتها الملكية من أوضاع وهيئات وأذكار وقراءة وأدعية كما هو واضح، وإن كانت بحسب ملكوتها ذات وحدة وبساطة، وكلّما قربت من أفق الكمال تكون وحدتها أكمل، حتى تنتهي إلى غاية الكمال التي هي حصول قيامتها الكبرى...*[1]

- **وجاء عن الإمام الخميني أيضاً** في تعليقه على شرح فصوص الحكم، قوله: ولو أنَّهم أقاموا التوراة والإنجيل... الخ :أي ولو أنَّهم اتبّعوا الشريعة التي هي إقامة التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المنزلة وأقاموها لحصل لهم الطريقة التي هي علم الأرجل وهو الطعام من التحت، وعلم الحقيقة التي هي الطعام من الفوق. وهذا يدل على أنَّ الطريقة والحقيقة لا يحصلان إلاَّ من طريقِ الشريعة فإنَّ الظاهر طريق الباطن، بل يفهم منه أنَّ الظّاهر غير منفكٍ عن الباطنِ فمن رأى أنَّ الباطن لم يحصل لهُ مع الأعمالِ الظاهرة واتباع التكاليف الإلهية فليعلم أنَّهُ لم يقم على الظاهرِ على ما هو عليه ومنْ أراد أنْ يصل إلى الباطنِ من غيرِ طريقِ الظاهر كبعضِ عوالم الصوفية فهو على غير بيّنة من ربّه.*[2]

---

(١) سر الصلاة.

(٢) تعليقه على شرح فصوص الحكم للقيصري.

– وروي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنَّهُ قال لجماعةٍ من شيعتهِ مجتمعين يتذاكرون: في قول الله (عز وجل): ﴿ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾(النساء٤٣). فقال: أمَّا الصلاة فذكر الله (عز وجل) وأمَّا السُكْرُ فشغلُ القلبِ بغيره تبارك وتعالى، وأمَّا الطهارة فمن الأضداد والمخالفين والأنداد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾(الأحزاب٤٣). أتراه يصلّي على المؤمن الصلاة التي يصلّيها المؤمن لله (عز وجل).؟

أراد: يصلّي :أي يعلمنا أنَّهُ يذكرنا في الملأ الأعلى وقال: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾(البقرة١٥٢).

– أمَّا الطهارة: فهي مادية ومعنوية

الطهارة في اللغة: طَهُرَ: نقى من النجاسة، برئ من كل ما يشين، وطهَّر الشيء بالماء جعله طاهراً، برأه ونزَّهه من العيوب وغيرها.

والنجاسة نوعان: مادية ومعنوية.

المادية: هي كل ما توجب منه الوضوء والغسل، أمَّا المعنوية: العقلية فلا تزيلها المطهرات المادية. قال بعضهم شعراً:

الماء يغسل ما في المرء من درنٍ   وليس يغسل قلب المذنب الماء

ولا تزيل النجاسة المعنوية إلاَّ الطهارة المعنويةُ، وأشد النجاسة المعنوية خطراً وأكثرها أذىً الشرك بالله، ثم الشك، ثم الشبهة، فالكذب، فالكبر، فالبخل، ثم الشهوات، وما شابه ذلك.

فكل نجاسة عقلية من تلك النجاسات المتقدمة لها طهارة معنوية إذا استعملها المتنجس طُهِّرَ وزالت نجاسته، ومِثال ذلك:

بالتوحيد: يُزيل نجاسة الشرك، اليقين: يزيل نجاسة الشك، الثقة: تُزيل نجاسة الشبهة، الصدق: يُزيل نجاسة الكذب، التواضع: يُزيل نجاسة الكبر، الكرم: يزيل نجاسة البخل، والإعراض عن كل ما حرَّم الله: يُزيل نجاسة الشهوات البهيمية.*[1]

- **وفي الطهارة قال الإمام الصادق** (عليه السلام): إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله تعالى، فإنَّ الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته. وكما أنَّ رحمة الله تطهر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾(الفرقان ٤٨)، وقال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾(الأنبياء٣٠)، فكما أحيا بهِ كلّ شيء من نعيم الدنيا كذلك برحمته وفضله جعل حياة القلب

(١) الكلم الطيب الشيخ عبد الكريم الخطيب.

والطاعات والتفكر في صفاء الماء ورقته وطهره وبركته ولطيف امتزاجه بكلّ شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وتعبدك بأدائها في فرائضه وسننه، فإنَّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة، فإذا استعملها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب، ثُمَّ عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء، يؤدي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه، معبراً لقولِ الرسول ﷺ: مثل المؤمن المخلص كمثل الماء، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً، وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء.*[١]

– **ويقول الأمير حسن بن مكزون السنجاري** قدّس سرّه شعراً في الطهارة العقلية:

وطهرت أعضائي بعرفان مَنْ على   مراتبهم في عالم العشق دلت

– **ويقول السيد المسيح** عليه السلام: الحقُ أقول لكم، إنَّ ماءَ البحر كلّه لا يغسل مَنْ يحب الآثام بقلبِهِ، وأقول لكم أيضاً: أنَّهُ لا يقدّم أحدٌ صلاة مرضية للهِ إنْ لم يغتسل، ولكنه يُحمِّل نفسه خطيئة شبيهة بعبادة الأوثان.*[٢]

ويقول ابن عربي عن الطهارة: اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أنَّهُ لما كانت الطهارة النظافة، علمنا أنَّها صفة تنزيه، وهي معنوية وحسية، طهارة قلب، وطهارة أعضاء معينة.

(١) مصباح الشريعة.

(٢) الكتاب المقدس.

فالمعنوية طهارة النفس من سفسافِ الأخلاق ومذمومها، وطهارة العقل من دنس الأفكار والشبه، وطهارة السرّ من النظرِ إلى الأغيار، وطهارة الأعضاء، فاعلم أنَّ لكلِّ عضوٍ طهارة معنوية ذكرناها في كتاب التنزلات الموصلية في أبواب الطهارة منه...*[1]

ويقول: إنَّهُ لما كان الإيمان عين طهارة الباطن لم يتمكن أن يتصوّر الخلاف فيه كما تصوّر في الطهارة الظاهرة إلاَّ بوجهٍ دقيق يكون حكم الظاهر فيه في الباطن حكم الباطن في طهارة الظاهر، فنقول من ذلك الوجه: هل من شرط طهارة الباطن بالإيمان التلفظ به، فينطق اللسان بما يعتقده القلب من ذلك أم لا ؟ فيكون في عالم الغيب إذا لم يظهر بما يعتقده في الباطن منافقاً، كمنافق الظاهر في عالم الشهادة، فإنَّ المؤمن يعتقد وجوب الصلاة مثلاً ولا يصلّي ولا يتطهر، كما أنَّ المنافق يصلّي ويتطهر ولا يؤمن بوجوبها عليه بقلبه ولا يعتقده، أو لا يفعله لقول ذلك الرسول الذي شرّعهُ لهُ، فهذا معنى ذلك إذا حققت النظر فيه، حتى يسري الحكم في الظاهر والباطن على صورة ما هو في الظاهر من الخلاف والإجماع فاعلم ذلك...*[2]

وقال في تفسير قولهِ تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(الماعون٤-٥): فانظر ما أشرف حال الصلاة لمن نظر واستبصر، فالسعيد

(١) الفتوحات المكية ج١.

(٢) الفتوحات المكية ج١.

من ثابر عليها وحافظ وداوم، ومن شرفها أنَّ الله ما علّقَ الوعيد إلاَّ بمن سها عنها لا فيها فقال: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ولم يقل في صلاتِهم فإنَّ العبدَ في صلاتِهِ بين مناجٍ ومشاهدٍ فقد يسهو عن مناجاتِهِ لاستغراقِهِ في مشاهدتِهِ، وقد يسهو عن مشاهدتِهِ لاستغراقِهِ في مناجاتِهِ مما يناجيه به من كلامِهِ... *[1]

– وتكلم القاضي سعيد القمّي عن الطهارة

واستعرض أقوال ابن عربي فيها، وأضاف: وأمَّا الطهارة العضوية المبيحة فلها ثلاثة أسماء: وضوء وغسل وتيمم.

فالوضوء: تنبيهٌ على مقاماتٍ معنوية، وإشارةٌ إلى تجلياتٍ روحانية.

والغسل: لأجلِ الفناء الذي عمّ الجنب بسببِ اللذة النفسانية السّارية في البدن المشعرة عن وجوده في نفسهِ، ولما ليس لهُ ذلك بنفسهِ فيغتسل، فيلبس لباس الوجود من ربّهِ بالماء الذي هو أصل الحياة والوجود والعلم...

أمّا التيمم: فلأجلِ عروض الدّعوى للعبدِ من رؤية نفسهِ بالاقتدار الظاهر منه، فيحرم من الرحمة الخاصة لعباد الله المكرمين، فلم يصل إلى العلم الذي هو حياة القلب في إماتة الدعوى غلوة سهم نظره الفكري... *[2]

---

(١) الفتوحات المكية ج١.

(٢) كتاب أسرار الصلاة للقاضي سعيد القمي.

وقال عن الماء: إنَّهُ سر الحياة التي هي أصل العالم لمشاهدة الحي القيوم، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾(الفرقان٤٨-٤٩). وقال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾(الأنفال١١).

وأمَّا التراب الذي هو أصل نشأة الإنسان، قال عزَّ من قائل: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾(طه٥٥). وقال(جَلَّ جَلَالُهُ): ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾(النساء٤٣). وذلك لتتفكر في ذاتك لتعرف من أوجدك، وممّا أوجدك، ولم أوجدك...*(١)

وفي الوضوء قال: اعلم أنَّهُ ما مِنْ حكمٍ شرعي في الظاهر إلاَّ ولهُ نسبة إلى الباطن، **فلتكن أنتَ يا أخي ممّن يعبد اللهَ بما شرّع لهُ ظاهراً وباطناً** لتكون من أهلِ الشرف. ولا تكن ممّن يعبد اللهَ على حرفٍ، فإذا تمكّنت مِنَ استعمالِ الماءِ في الوضوءِ فاستشعر أنَّك بحسب مرتبتك عند اللهِ في منزلةٍ أباحَ اللهُ لكَ تناول رحمته ولطفهِ، وشرعِ لكَ تحصيل العلم الحقيقي إلى معرفتهِ ومواقع أحكامه، وفتح لكَ باباً إلى سماءِ قربهِ ومناجاتهِ بالماء الذي نزلَ منها لتطهيرِ عبادهِ وتخليصهم من كلِّ ما يورث البعد عنهُ وعن جوارهِ، وكذلك مكّنك مِن طهارةِ الظاهر بالماء الذي هو حياةُ الأبدان، والباطن الذي هو حياةُ أرواح الإنسان...*(٢)

(١) كتاب أسرار الصلاة للقاضي سعيد القمي.

(٢) كتاب أسرار الصلاة للقاضي سعيد القمي.

– **ويقول الإمام الخميني**: فالطهارة للصلاة الصورية، وصورة الصلاة هي طهارة صورية، وصورة الطهارة بالماء المطلق الذي هو سر الحياة، وبالصعيد الذي هو منتهى التجليات عند أصحاب المعرفة.

وطهارة أهل الإيمان: تطهير الظاهر من أرجاس المعاصي، ومن إطلاق عنان الشهوة والغضب.

وطهارة أهل الباطن: التنزّه عن القاذورات المعنوية والتطهّر من دنسِ الأخلاق الذميمة.

وطهارة أصحاب الحقيقة: التنزّه عن الخواطر والوساوس الشيطانية والتطهّر من أرجاس الأفكار الباطلة والآراء الضّالة المضلّة.

وتطهير أرباب القلوب: التنزّه عن التلوينات، والطهارة من التقلبات، والتطهّر من الاحتجاب بالعلوم الرسمية والمقننة والمصطلحات.

وطهارة أصحاب السّر: التنزّه عن الاحتجاب عن المشاهدات.

وطهارة أصحاب المحبّة والمجذوبين: التنزّه عن التوجه إلى الغير والغيريّة، والتطهير عن الحجب الخلقية.

وطهارة أصحاب الولاية: التطهّر من رؤية المقامات والمدارج، والتنزّه عن الأغراض والغايات،... إلى آخر مقام الولاية الذي طهارة أصحابهِ التنزّه عن تعينات التجليات الأسمائية والصفاتية.

وطهارة أرباب الصحو بعد المحو والتمكين: التنزّه عن التلوّن بعد التمكين، والتطهير عن غلبة بعض التجليات على البعض، وهو مقام رؤية مظهرية أحدية الجمع.

وجميع أنواع الطهارات متحققة لدى كُمَّل الأولياء، فظاهرهم طاهر من جميع القذارات الصورية، وحواسهم طاهرة عن الإطلاق فيما لا يحتاج إليه، وأعضاؤهم طاهرة من التصرف فيما يخالف رضا الحق تعالى، إلى آخر مراتب الطهارة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(الاحزاب٣٣).*(١)

– **القدوم إلى الصلاة:** قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنَّك قصدت باب ملك عظيم لا يطأ بساطه إلاَّ المطهّرون، ولا يؤذن لمجالسته إلاَّ الصدّيقون، فهب القدوم إلى بساطِ خدمته هيبة الملك، فإنَّك على خطرٍ عظيم، وإن غفلت، فاعلم أنَّهُ قادرٌ على ما يشاء من العدلِ والفضلِ معك وبك، فإن عطف عليك فبفضله ورحمته قَبِل منك يسير الطاعة، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً. وإن طالبك باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بك، حجبك وردَّ طاعتك وإن كثرت. فهو فعّال لما يريد، واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك وفقرك بين يديه، فإنَّك قد توجهت للعبادةِ لهُ والمؤانسة به. واعرض أسرارك عليه. ولتعلم أنَّهُ لا تخفى عليه أسرار الخلق أجمعين وعلانيتهم. وكنْ

(١) سر صلاة العارفين للخميني.

كأفقر عباده بين يديه، وأخلِ قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربك، فإنَّهُ لا يقبل إلاَّ الأطهر والأخلص. وانظر من أيّ ديوان يخرج اسمك، فإن ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته، وشربت كأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجاباته، فقد صلحتَ لخدمته. فادخل فلكَ الأذنِ والأمان، وإلاَّ فقف وقوفَ مضطّر قد انقطع عنهُ الحيل، وقصر عنه الأمل، وقضى عليه الأجل. فإذا عَلِمَ الله من قلبك صدق الالتجاء إليه، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة واللطف، ووفقك لما يحبّ ويرضى، فإنَّهُ كريمٌ يحبُّ الكرامة لعبادهِ المضطرين إليه، المحترقين على بابهِ لطلب مرضاته. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾(النمل٦٢).*(١)

– **النية**: قال الإمام الصادق عليه السلام: صاحبُ النيّة الصادقة صاحب القلب السليم، لأنَّ سلامةَ القلب مِن هواجسِ المحذورات بتخليص النيّة للهِ تعالى في الأمورِ كلّها، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الشعراء٨٨-٨٩). وقال النبي صلى الله عليه وآله: نيّةُ المؤمن خيرٌ مِنْ عملهِ، وقال صلى الله عليه وآله: إنَّما الأعمالُ بالنياتِ ولكلِّ امرئ ما نوى. فلا بدَّ للعبدِ مِن خالصِ النيةِ في كلِّ حركةٍ وسكون، لأنَّهُ إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد ذمهم اللهُ تعالى فقال: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(الفرقان٤٤). وقال: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(الأعراف١٧٩). ثُمَّ النيّة تبدو

(١) مصباح الشريعة.

من القلب على قدرِ صفاء المعرفة، وتختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوته وضعفه، وصاحب النيّة الخالصة نفسهُ وهواهُ معهُ مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله تعالى والحياء منه، وهو من طبعهِ وشهوتهِ، ومُنْيةُ نفسهِ منه في تعب، والناس منهُ في راحة.*(١)

– **القبلة:** قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا استقبلتَ القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، وفرّغ قلبك عن كلِّ شاغلٍ يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرّك عظمة الله عزّ وجلّ، واذكر وقوفك بين يديه قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(يونس٣٠). وقِفْ على قدمِ الخوف والرجاء، فإذا كبّرت فاستصغر ما بين السموات العُلى والثرى دون كبريائِهِ، فإنَّ الله تعالى إذا اطلع على قلبِ العبد وهو يكبّر وفي قلبِهِ عارض عن حقيقة تكبيره، فقال: يا كذاب، أتخدعني، وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري، ولأحجبنك عن قربي والمسرة بمناجاتي، واعلم أنَّهُ تعالى غير محتاج إلى خدمتِك، وهو غنيٌ عنك وعن عبادتك ودعائك، وإنّما دعاك بفضله ليرحمك ويبعدك عن عقوبته، وينشر عليك من بركات حنانيته، ويهديك إلى سبيل رضاه، ويفتح عليك باب مغفرته، فلو خلق الله عزّ وجلّ على ضعف ما خلق من العوالم أضعافاً مضاعفة على سرمد الأبد لكان عند الله سواء أكفروا به بأجمعهم أو وحّدوه، فليس له من عبادة الخلق إلاَّ

(١) مصباح الشريعة.

إظهار الكرم والقدرة، فاجعل الحياء رداءً، والعجز إزاراً، وادخل تحت سرير سلطان الله تعالى تغتنم فوائد ربوبيته، مستعيناً به، مستغيثا إليه.*[١]

- في اللباس

قال الإمام الصادق عليه السلام: أزين اللباس للمؤمنِ لباس التقوى، وأنعمه الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾(الأعراف٢٦). وأمَّا اللباس الظاهر، فنعمة من الله تعالى يستر بها عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها ذرية آدم عليه السلام ما لم يكرم بها غيرهم، وهي للمؤمنين من آلةِ لأداء ما افترض عليهم، وخيرُ لباسك ما لا يشغلك عن الله عز وجل بل يقربك من ذكره وشكره وطاعته ولا يحملك على العجب والرياء والتزيين والتفاخر والخيلاء؛ فإنَّها من آفات الدين ومورثة القسوة في القلب، فإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته، وألبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك، وليكن باطنك من الصدق في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق أسباب اللباس ليستر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والإنابة والإغاثة ليستر بها العورات الباطنة من الذنوب وأخلاق السوء، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره واحذر أن يفنى عمرك لعمل غيرك، ويتّجر برأسِ

---

(١) مصباح الشريعة.

مالك غيرك فتهلك نفسك، فإنَّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل، وما دام العبد مشتغلاً بطاعةِ الله تعالى ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله ﷻ فهو بمعزلٍ عن الآفات خائض في بحر رحمة الله تعالى يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان، وما دام ناسياً لذنوبهِ جاهلاً لعيوبهِ راجعاً إلى حولهِ وقوته لا يفلح إذا أبداً.*[١]

التوجّه: يقول السيد أبو عبد الله (رضي الله عنه) في التوجّه:

أقـــول صـــادقاً آمنـــت بـــه ... حـــبُّ علـــي الأعلـــى يعليـــني

وجهـــت وجهـــي إليـــه منحرفـــاً ... عـــن حـــبّ أضـــداده الملاعـــين

وقال في قصيدة غيرها:

يـــا أحـــدٌ لا يحـــاط منـــه ... لا بصـــــفاتٍ ولا بـــــذاتِ

وجهـــك لي قبلـــةٌ أصـــلي ... إليـــه مـــن ســـائر الجهـــاتِ

وقال الأمير المكزون قدّس سرّه نظماً:

واتخـــذ القبلـــة شـــطر وجههـــا ... فهي لأهل العشق من أسنى القبل

وقال أيضاً:

وجهت وجهي في اتجاهي لوجهها ... فمن حيث ما استقبلتها فهي قبلتي

وقال:

وجهـــت وجهـــي للـــتي جمالهـــا ... عن جهة الأوصاف بالتحديد جلّ

---

(١) مصباح الشريعة.

– **ويقول حسن بن حمزة الشيرازي** قدس سره: وكما أنَّ استقبال القبلة الظاهرة شرط في صحة الصَّلاة الظاهرة، فكذلك **استقبال القبلة الباطنة شرط في صحة الصَّلاة الباطنة، وهي عبارة عن الإقبال على اللهِ بالكلية، والإدبار عما سواه قلباً ونفساً وروحاً وعقلاً وسراً وجهراً، فإنَّ مَنْ لم يُقبل على الله بالكلية لم يدبر عمَّا سواه**، ومَنْ تعلقت إرادتُهُ بشيءٍ سوى الله لم يقدر على الاتصال بحضرة الله، فيجب أن يكون المصلّي متفرغاً لذكر الله تعالى عند المواجهة، وإن تعلقت إرادته بشيء فيكون انقطاعهُ وبعده عن الله بمقدار اتصاله بذلك الشيء المتعلق به، ويحصل ذلك الشيء حجاباً بينه وبين مولاه، وكان من الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين١٥).

فكما أنَّهُ اشترط على المصلّي ظاهراً أن لا يحوّل نظرهُ عن الموضع الذي يقع عليه سجوده فكذلك اشترط على المصلّي باطناً أن لا يحوّل قلبه وفكره وعنايته عمّن هو مشيرٌ إليه في صلاته ومتوجهٌ إليه في عبادته.*[1]

– **في الركوع: قال الإمام الصادق** عليه السلام: لا يركعُ عبدٌ للهِ ركوعاً على الحقيقة إلاَّ زيّنهُ الله بنور بهائه، وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة صفائه، والركوع أول والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدب

(١) (الفرائد العلوية) للشيرازي.

وفي السجود قرب، ومن لا يحسن للأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله عَزَّ وَجَلَّ متذلل بقلبه، وَجِلٍ تحت سلطانه، خافض لله بجوارحه خفض خائف حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين. وحكي أنَّ ربيع بن خثيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوعٍ واحد فإذا أصبح تزفر وقال: أوه سبق المخلصون وأُقطع بنا، واستوفِ ركوعك باستواء ظهرك، وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلاَّ بعونه، وفرّ بالقلب من وسوسةِ الشيطان وخدائعه ومكايده، فإنَّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرهم*[1].

- **<u>في السجود</u>: قال الإمام الصادق** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما خسر والله تعالى قط من أتى بحقيقة السجود ولو كان في عمره مرة واحدة، وما أفلح من خلا بربهِ في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسهِ غافلاً لاهياً عمّا أعدَّ اللهُ تعالى للساجدين مِنَ البشرِ العاجل وراحة الآجل، ولا بعد عن الله تعالى أبداً مَنْ أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرب إليه أبداً مَنْ أساءَ أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حالِ السجود، فاسجد سجود متواضع للهِ ذليل عَلِمَ أنَّهُ خُلق من تراب يطؤه الخلق، وأنَّهُ ركب من نطفةٍ يستقذرها كلَّ أحد، وكون ولم يكن، ولقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسر والروح، فمن قرب منه بعد عن غيره، ألا ترى في الظاهر أنَّهُ لا يستوي حال السجود إلاَّ بالتواري عن جميع

---

(١) مصباح الشريعة.

الأشياء، والاحتجاب عن كلِّ ما تراه العيون، كذلك أراد الله تعالى أمر الباطن، فمن كان قلبهُ متعلقاً في صلاتِهِ بشيءٍ دون الله تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله تعالى منهُ في صلاته، قال الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾(الأحزاب٤). وقال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ: ما أطلع على قلبِ عبدٍ فأعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلاَّ توليت تقويمه وسياسته وتقربت منه، ومن اشتغل في صلاتِهِ بغيري فهو من المستهزءين بنفسه، اسمه مكتوب في ديوان الخاسرين.*(١)

– **في التشهد: قال الإمام الصادق** عليه السلام: التشهد ثناء على اللهِ فكن عبداً لهُ في السّرِ خاشعاً خاضعاً لهُ في الفعلِ كما أنَّكَ عبدٌ لهُ بالقولِ والدعوى وصل صدق لسانِكَ بصفاءِ صدق سرك فإنَّهُ خَلقكَ عبداً وأمركَ أنْ تعبدهُ بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم أنَّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظة إلاَّ بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن إتيان أقل شيءٍ في مملكته إلاَّ بإذنهِ وإرادتهِ، قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(القصص ٦٨). فكن لله عبداً ذاكراً بالقولِ والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرك فإنَّهُ خلقك فعزَّ وجلَّ أنْ تكون إرادة ومشيئة لأحدٍ إلاَّ بسابقِ إرادته ومشيئته فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته، وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصلاة

(١) مصباح الشريعة.

على حبيبه النبي محمّد ﷺ فأوصل صلاتهِ بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته، وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاتهِ وأمرهِ بالاستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب، وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجلّ.*(١)

– **في السلام: قال الإمام الصادق** عليه السلام: معنى التسليم في دبرِ كلِّ صلاة "معنى الأمان" أي مَنْ أتى بأمر الله تعالى وسنة نبيّه ﷺ خاضعاً لهُ خاشعاً فيه فلهُ الأمان من بلاءِ الدنيا والبراءة من عذاب الآخرة، والسلام اسم من أسماءِ الله تعالى أودعهُ في خلقِهِ ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإلصاقات والإضافات، وتصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم فإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتقِ اللهَ تعالى وليسلم دينك وقلبك وعقلك لا تدنسها بظلم المعاصي، ولتسلم منك حفظتك لا تبرمهم ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثُمَّ مع صديقك ثُمَّ مع عدوك، فإنَّ مَنْ لم يسلم منهُ مَنْ هو أقربُ إليهِ فالأبعدُ أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق، واعلم أنَّ الخلقَ بين فتن ومحن في الدنيا، إمَّا مبتلى بالنعمة ليظهر شكره، وإمَّا مبتلى بالشدة ليظهر صبره والكرامة في طاعته والهوان في معصيته، ولا سبيل

---

(١) مصباح الشريعة.

إلى رضوانهِ ورحمته إلاَّ بفضله، ولا وسيلة إلى طاعته إلاَّ بتوفيقه، ولا شفيع إليه إلاَّ بإذنه ورحمته.*[1]

– **في الدعاء: قال الإمام الصادق** عليه السلام: احفظ أدب الدعاء وانظر مَنْ تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو، وحقق عظمة الله وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما تكْنَّ، وما تكون فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله تعالى بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أنَّ فيه نجاتك، قال الله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾(الإسراء١١). وتفكَّر ماذا تسأل ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الكلِّ منك للحقِ، وتذويباً لمهجة في مشاهدة الرب، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأمور كلّها ظاهراً وباطناً إلى الله تعالى، فإن لم تأتِ بشرط الدعاء فلا تنظر الإجابة فإنَّهُ يعلم السر وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء قد عَلِمَ مِنْ سرك خلاف ذلك، قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر وأنا أنتظر الحجر، واعلم أنَّهُ لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء لكان إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف قد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء. وسُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم فقال: صلى الله عليه وآله كل اسم من أسماءِ الله أعظم ففرغ قلبك عن كلِّ ما سواه وادعهِ تعالى بأي اسم شئت فليس للهِ في الحقيقةِ اسم دون اسم، بل هو الله الواحد القهار قال النبي: صلى الله عليه وآله إنَّ الله لا يستجيب

---

(١) مصباح الشريعة.

الدعاء من قلب لاهٍ. قال الصادق (عليه السلام) إذا أراد أحدَكم أنْ لا يسألَ ربَّهُ إلاَّ أعطاه، فلييأس من الناسِ كلّهم ولا يكن رجاهُ إلاَّ من عند اللهِ (عز وجل)، فإذا عَلِمَ اللهُ تعالى ذلك من قلبهِ لم يسألهُ شيئاً إلاَّ أعطاه، فإذا أتيتَ بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرك لوجهه فأبشر بإحدى ثلاث، إمَّا أنْ يعجل لكَ ما سألتَ وإمَّا أن يدخر لك ما هو أفضل منه، وإمَّا أنْ يصرف منك من البلاء ما لو أرسله إليك لهلكك، قال النبي (صلى الله عليه وآله): يقولُ اللهُ تعالى: مَنْ شغلَهُ ذكري عن مسألتي أعطيته أفضلَ ما أُعطي للسائلين. قال الصادق (عليه السلام): لقد دعوتُ اللهَ مرةً فاستجابَ لي ونسيت الحاجةَ لأنَّ استجابته بإقبالهِ على عبدهِ عند دعوتهِ أعظم وأجل مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة ونعيمها الأبدي، وليس يعقل ذلك إلاَّ العاملون المحبون العارفون صفوة الله وخواصه.*(١)

(١) مصباح الشريعة.

الخاتمة

إنَّ الله سبحانه وتعالى أرسل الرسلَ والأنبياءَ بدعوة التوحيد، لقولهِ تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾(الإسراء٢٣). وقولهِ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾(آل عمران٦٤). وبالرغم من تعددِ الشرائع فالهدف واحد هو عبادة الله وتوحيده، فقال على لسانِ السيد المسيح عليه السلام: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾(آل عمران٥٠). لاحظ كيف أخبرَ عن تصديقهِ للتوراة وتحليلهِ بعض ما حُرِمَ عليهم، وقال مخاطباً نبيَّهُ محمّدا صلى الله عليه وآله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾(آل عمران٣-٤).

فالشرائع جميعها من عند الله، وما هذا التباين في أحكامِها إلاَّ رحمة بالخلق، لأنَّهُ لا يجوز للحكيم أن يُكلّفَ قوماً بأمرٍ ماَ، ويُكلّفَ آخرين بغيرِهِ، لكنَّهُ سبحانه وتعالى كلّف كلَّ أهلِ شريعةٍ بما يتناسب مع معارفِهم وعاداتهم وما تقبلهُ طبائعهم، فالشريعة الموسوية لها أحكام، والشريعة المسيحية لها أحكام، والشريعة المحمّدية لها أحكام، وبها ختم اللهُ الشرائع، وسيدنا محمّد صلى الله عليه وآله يقول: (إنّما بعثتُ لأتمَّ مكارم الأخلاق).*[1]

(١) مسند الإمام الرضا.

والسيد المسيح عليه السلام يقول: لا تظنوا أنّي جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأَنقُضَ بل لأُكمل(١٧). فإنّي أقول لكم إلى أنْ تزولَ السماء والأرض لا يزول حرفٌ واحدٌ أو نقطة واحدة مِنَ الناموس حتى يكون الكل(١٩). *[1]

إذاً لم يأتِ أحدٌ منهم لينقض بل ليكمل، ونرى خلافاً في الشرائع وأشكال العبادات، فما السرُّ في ذلك ؟ وما هو المشترك بينهم إذاً ؟

قالوا: لو كان المرادُ ظاهرَ الشرائع فقط، لما اختلفت في الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم. فالشريعة الموسوية نسخت ما كان قبلها من الشرائع...

ثُمَّ جاء عيسى عليه السلام ونسخ ما كان قبلهُ، ثُمَّ قال لهم: ما حلّلتموه فهو محلّلٌ، وما حرمتموه فهو محرَّمٌ، فأمر أصحابه بالقربان والخبز والخمر...

ثُمَّ أتى سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله ونسخ هذه الشريعة وعكسها، فأمرهم بالتوجّه إلى الكعبة، وأبطل التوجه إلى المشرق والمغرب...الخ.

إذاً لم يبقَ إلاَّ باطن الشرائع، أو روح النص، فالصلاةُ بروحها هي نفسها عند الجميع (لأنَّها هي الصلة بين الله وخلقهِ) وكذلك جميع بواطن العبادات لا تختلف، لأنَّها تؤدي إلى نفس المعبود الواحد عند الجميع، فالغاية من العبادات واحد، هو الوصول إلى معرفة وتوحيد وشكر المعبود، وإن اختلفت طرق أدائها

---

(١) إنجيل متى.

وسبل سالكيها، فالشريعة قانون ينظم العلاقات بين المخلوقين وخالقهم، وبين المخلوقين أنفسهم، وهي عبادة الجوارح كما قالوا*[١]، وأنَّ الحقيقة عبادة القلب والروح، والحقُّ أنْ نعبدَ اللهَ ﷻ بما أمرَ.

وقالوا: إنَّ الشريعةَ بلا حقيقة جوفاء لا معنى لها، والحقيقة بلا شريعة إلحاد وإنكار للرسالات، كما قيل: مَنْ تمسَّك بالظاهر المحض فهو حشوي، ومَن تمسَّك بالباطن المحض فهو ملحد*[٢]، ومن جمع بين الظاهر والباطن أي بالتقية والتقوى فهو المؤمن الموحد.

والله ﷻ يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(البقرة٢٨٦) :أي إنَّهُ ﷻ كلّف الخلائق ما يطيقون ولم يكلّفهم ما يعجزهم، ولم يضع لكلِّ نفسٍ تكليفا خاصاً بها، فاكتفى من الإنسان العادي ما يستطيع ضمن التكليف الشرعي، وحضَّ المستطيعين البالغين في المعارف والعلوم أن يلجوا في روحانية النصوص وأسرارها لتُفتحَ لهم أبواب السعادات، لذلك ميَّزهم ﷻ بتدبرهم كتاب الله فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

---

(١) راجع الغزالي في الإحياء يقول: إنَّ علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب.

(٢) قال الإمام الصادق(ع): إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلاَّ بباطن ولا بباطن إلاَّ بظاهر. (بحار الأنوار عن بصائر الدرجات)

وقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ: مَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ، وَمَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ. (مرقاة المفاتيح لملا علي القاري).

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(الزمر ٩). وقال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(البقرة ٢٦٩). وحضهم بقولهِ: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(ص ٢٩). وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمّد ٢٤). وقال في حق الإنسان: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(البلد٨-١٣). وقال تعالى في بعض المصلين: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾(الماعون٤-٦). لاحظ بالرغم من أنّهم مصلّون كيف أخبرَ عنهم أنَّ لهم الويل، لأنَّهم أقاموا الصلاة تقليداً ورياءً دون معرفة لها وتبصّر بحقائقها، فهم غافلون عنها وهم فيها، فكيف لو لم يكونوا فيها ؟ وقال فيهم أيضاً: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(النساء١٤٢).

ويقول السيد المسيح عليه السلام: متى صلَّيتَ فلا تكن كالمرائين، فإنَّهم يُحبون أن يصلّوا قائمين في المجامعِ وفي زوايا الشوارعِ لكي يظهروا للناس، الحقَّ أقول لكم إنَّهم قد استوفوا أجرَهُم(٥). وأمّا أنتَ فمتى صلّيتَ فادخل إلى مخدعِك وأغلق بابكَ وصلِّ إلى أبيكَ الذي في الخفاءِ فأبوكَ الذي يَرَى في الخفاءِ يجازيكَ علانيةً(٦). *(١)

(١) - (٥)(٦) إنجيل متى.

فالصلاة واحدةٌ عندَ الجميع، فصلِّها كما أمرَ نبيّك، وأَعمِلْ عقلك وقلبك، واستغرق فيها روحك، لأنَّها هي المعراج الحقيقي إلى الله، وهي إنْ قُبلت وصلت إلى مطلوبك، كما قال رسول الله ﷺ: لي مع اللهِ وقت لا يسعهُ ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.*[1]

هذا ما استعطتُ إيراده في هذهِ العجالة عن أسرار باطن الصّلاة عند الجميع، إنْ أكن أصبتُ فبتوفيق الله سبحانهُ، وإن قصّرتُ فبذنبي، وأرجو منكم أنْ تعذروني.

أخوكم في الله الشيخ محمود سليمان رمضان

طرطوس قرية الثورة /١٤٣٤هـ/٢٠١٣/م

(١) بحار الأنوار.

مصادر الكتاب

١- القرآن الكريم. وتفسير مجمع البيان للطبرسي. وتفسير بيان السعادة في مقامات العبادة للجنابزي.

٢- نهج البلاغة.

٣- مصباح الشريعة للإمام الصادق.

٤- مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني.

٥- لسان العرب لابن منظور.

٦- الهداية الكبرى للسيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

٧- ديوان السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي تحقيق س حبيب.

٨- كتاب المائدة للسيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

٩- تحف العقول. لابن شعبة الحراني.

١٠- علل الشرائع لابن بابوية القمي.

١١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

١٢- الفتوحات المكية لابن عربي.

١٣- كتاب أسرار الصلاة للقاضي سعيد القمي.

١٤- الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي.

١٥- مشارق أنوار اليقين للبرسي.

١٦- بحار الأنوار للمجلسي.

١٧- الآداب المعنوية للصلاة للخميني.

١٨- سر صلاة العارفين للخميني.

١٩- الكلم الطيب للشيخ عبد الكريم الخطيب.

٢٠- إخوان الصفا والتوحيد العلوي.

٢١- الفرقة الهامشية في الإسلام.

٢٢- الأحاديث القدسية.

٢٣- الكتاب المقدس.

الفهرس

ملحق (كلمة إنصاف في حق المفتي)

وهذا بعض ما جاءَ من هجومٍ بعض الوهابيةِ على العلامة الدكتور أحمد بدر الدين حسون مفتى الجمهورية العربية السورية في هذا الموضوع وغيرِهِ على خلفيةِ إسلامهِ الحقيقي، وفكرهِ الجامع ونهجهِ العروبي الإسلامي الصحيح، ومحبتهِ لوطنهِ وأهل وطنهِ بكافةِ أطيافهم، ممتثلاً سيرةَ الرسول الكريم ﷺ وأصحابهِ ﷺ ووصيةَ أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالكِ بن الحارث الأشتر عندما قال لهُ: وأشعرْ قلبكَ الرحمةَ للرعيةِ والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أَكلَهم، فإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي اَلدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْقِ.*[1]

فقالوا عنهُ متحاملين: لقد صرَّح أحمد حسون النقشبندي في خطبةٍ لهُ في لبنان مسجلة عن الإسراء والمعراج: بأنَّ اللهَ يصلّي[2] ثُمَّ قال: فيا تارك الصّلاة، أَلا تتشبّه بربك ؟ أَلا تقتدي بربك ؟ إنَّ ربَّكَ يصلّي وأنتَ لا تصلي ؟ وهذا موافق لقولهم إنَّ اللهَ هو العابدُ وهو المعبود، كما قال ابن الفارض، وكما قال كبيرهم ابن عربي:

الـــربُّ حـــقٌ ، والعبـــدُ حـــقٌّ   يـا ليـتَ شـعري مَـنِ المكلـفُ
إن قلــت: عبــدٌ، فــذاك مَيْــتٌ   أو قلـــــت ربٌّ، أنَّ يُكَلَّـــــفُ

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) جاء هنا عبارة أقحمها المعترض على الشيخ وليست من قوله، ووضعوها بين قوسين تمويها على القارئ، وهي: (الصّلاة المعهودة).

وتحاملوا عليه أيضاً في مناظرتهِ مع الشيخ الفزّازي المغربي التي أذيعت من محطة الجزيرة الفضائية في جمادى من عام ١٤١٩هـ عندما سأله الشيخ الفزّازي هل النصارى كفار !؟ فأَبى أنْ يكفّرهم قائلاً: هم أهل كتاب (يعني أنَّهم ليسوا كفاراً). كما هو مذهب الصوفية بالنظر إلى وحدة الوجود...

ونقلُوا عنهُ نصوصاً اعتبروه صرّح فيها بوحدة الوجود وغيرها في غير ما مناسبة فقال المؤلف: سمعتُهُ في شريطٍ مسجل يقررُ لمريديه – في أحد دروسه – أنَّ النصارى مؤمنون مستدلاً على قولِهِ بقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات١٠). قال: ولم يقل اللهُ: (إنَّما المسلمون أخوة) والنصارى مؤمنون.*[١]

كم تمنيتُ لو حاوروا الشيخ العلامة مباشرة ليوسّعوا مدى معارفهم القاصرة ومداركهم الضيقة، لكان أفضل لهم مِنْ هذا الهجوم الذي لا يخدم إلاَّ أعداء الإسلام والعروبة، ويوفر الفرصة للعابثين بالدين ورجالاتهِ، والتشويش على فكرِ رجالاتهِ وخاصة هؤلاء الداعين للمحبة ورصِّ الصفِّ والتسامح الديني.

واللهَ سبحانه وتعالى يقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة٢٥٦). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾(يونس٩٩). فبالمحبةِ والتسامح تَعْمُرُ القلوب وتُبنى الأوطان، فمَنْ لا يستطيع أنْ يُحبَّ أخاهُ الإنسان لا يستطيع أنْ

---

(١) الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن محمد سعيد دمشقية. وحجة المؤمن على من اعتقد أن فرعون مؤمن لمنصور بن سليمان الحمدوني.

يُحبَّ الله، لقولهِ تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(آل عمران٣١). ورسول الله ﷺ يقول: إنَّ المتحابين لتُرى غرفهم في الجنةِ كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقالُ: مَنْ هؤلاء ؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عَزَّ وَجَلَّ.[1]

وقال ﷺ: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أَولا أَدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم.*[2]

وقال ﷺ: إذا الناس أظهروا العلمَ وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك وأصمهم وأعمى أبصارهم.*[3]

فَلَكَ أَيُّها الشيخ في رسولِ اللهِ أسوة حسنة، كما فعل مع قريش عندما فتح مكة.

---

(١) مسند أحمد.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تخريج أحاديث الإحياء.

صدر للمؤلف

١- مختصر الواجبات في السنن والمفترضات.ط٥

٢- إيضاح البيان مناظرة.ط٢

٣- القول السليم في نجاة كافل اليتيم (أبو طالب دراسة وتحليل).ط٢

٤- الخصيبي والغلاة من الشيعة.ط٢

٥- صلة الرحم والعقوق.ط٢

٦- الشيطان حقيقة أم وهم بين المادة والروح.

٧- الرحمن بين الإطلاق والتقييد.

٨- التصوف وطريقة السيد أبي عبد الله الخصيبي.

٩- علم الكلام وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

١٠- تعليم الصلاة المصور. طبعة ملونة فاخرة.

١١- الشّهداء.

١٢- وهذا الكتاب الصلاة عند السيد الخصيبي والعرفاء بين الشريعة والعرفان.